الندوة العلمية الموسومة

نهاية الحكم العثماني في إيالة الجزائر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

يوم: الأربعاء 11 جمادى الأولى 1446هـ الموافق :13 نوفمبر 2024 م

الأستاذ: محمد اوجرتيني

الصفة : أستاذ التعليم العالي

المؤسسة : جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية – قسنطينة

عنوان المداخلة.

ضعف حكام المركز والأطراف من 1792 إلى 1830
ومساهمته في انهيار إيالة الجزائر ووقوع الاحتلال.

مدخل تاريخي.

01.. طبيعة الحكم التركي.

02.. السلطة الحاكمة "الباشا" هرم السلطة الحاكمة.

03.. حكام الايالة.

01-03 الأول حكام المركز.

أولا: الحكام المؤسسون للإيالة.

ثانيا: حكام ضعاف النفوذ والتأثير.

ثالثا: الحكام المتأخرون.

02-03 حكام الأطراف.

أولا: بايات الشرق.

ثانيا: بايات التيطري.

ثالثا: بايات الغرب.

الملخص:

ما يزال بداية الحكم التركي في الجزائر مختلفا فيه بين المؤرخين سواء حول الملابسات التي أحاطت به أو في أسبابه ودوافعه وفي سنة انضمام الجزائر للسلطنة العثمانية وانتصاب الحكم التركي بها، وكذلك الشأن بالنسبة لانتهاء الحكم التركي في الجزائر الذي تعددت أسبابه ودوافعه وانتهى بالإيالة التي سادت في المغرب الأوسط زهاء ثلاثة قرون إلى الوقوع السريع بيد الاحتلال الفرنسي سنة 1830. ومنهم من اعتبر هذا السقوط نتيجة حتمية للانهيار الحضاري الذي تشهده بلدان العالم الإسلامي في فترة التاريخ الحديث، ومنهم من يفصل في الأسباب العسكرية والسياسية والاقتصادية والتنظيمية التي كانت عليها إيالة الجزائر والتي اتسمت بالضعف والتقهقر، وفي هذا المقال محاولة للوقوف على أثر ضعف حكام الإيالة سواء في العاصمة أو في الأطراف في الفترة ما بعد 1792 في انهيار سلطة الدولة ووقوعها بيد الاحتلال الفرنسي.

الكلمات المفتاحية:

البايات. الدايات. الحكم العثماني. الانكشارية. البايلك.

Summary:

The beginning of Turkish rule in Algeria is still disputed among historians, whether about the circumstances that surrounded it or its causes and motives and in the year of Algeria's accession to the Ottoman Sultanate and the establishment of Turkish rule there. The same applies to the end of Turkish rule in Algeria, which had many causes and motives and ended with the rule that prevailed in Morocco. The Middle East took nearly three centuries until it quickly fell into the hands of the French occupation in 1830.

Some of them considered this fall an inevitable result of the civilizational collapse that the countries of the Islamic world are witnessing in the period of modern history, and some of them detail the military, political, economic and organisationnel reasons for the rule of Algeria, which was characterized by weakness and retreat. In this article, an attempt is made to determine the impact of the weakness of the rulers of the state, both in The capital or the peripheries in the period after 1792 resulted in the collapse of state authority and its fall into the hands of the French occupation.

Keywords:

The Beys. deys. Ottoman rule. Janissaries. Baylek.

01.. طبيعة الحكم التركي.

ما يزال بداية الحكم التركي في الجزائر مختلفا فيه على حد قول الباحث التونسي "عبد الجليل التميمي" في المجلة التاريخية المغربية، وحبيسا لمقاربات تاريخية متباينة بين الكتاب والمؤرخين الذين تزامن وجودهم مع بدايات الحكم العثماني للجزائر وبين من جاء بعدهم[1].

وتندرج رؤية كثير من الرحالة الغربيين فيما يتعلق بالنظام السياسي القائم في الجزائر على أنه نظام ملكي استمد شرعيته من الإبقاء على حالة الجهاد مع النصارى لحماية المسلمين وتحقيق العدالة وتوسيعها[2]، أو أنه جمهورية عسكرية بحكم سيطرة الجيش الانكشاري على دواليب السلطة[3].

وقد وصف كتاب أوروبيون ما وقع من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية بالمغامرة التي قام بها "حفنة" من المغامرين الأتراك، حين انتصرت على شعوب مسالمة، ونجحت بالعنف في إرساء نظام حكومي قائم في الجزائر وتونس وطرابلس[4].

ونعتقد أن ما كتبه الغربيون لم يتم فرزه وتقييمه لحد الآن بسبب تصنيفه ضمن كتابات المدرسة الاستعمارية، والحقيقة تؤكد أن كثيرا ممن ينتمون لهذه المدرسة قدموا حقائق جلية تتعلق بموضوع الإشكالية، وفي هذا الصدد يجدر التنويه بما كتبه أحد المؤرخين الفرنسيين يدعى "أميدي ديجوبار"[5] في أثناء حديثه عن الحكم التركي في الجزائر مقيما مقارنة بينه وبين الاستعمار الفرنسي، فيقول:"كانت الإدارة التركية حقيقة مقلقة للعرب ووسائلها كانت عنيفة لكنها لا تستحق الأوصاف التي وصفت بها لأنها استطاعت أن تبقى في الجزائر طويلا، بثمانية آلاف جندي بين نحن –الفرنسيون– لم نستطع بخمسين ألف جندي السيطرة عليها رغم أننا أنفقنا ما يزيد عن خمسين مليون فرنك"[6]

ثم يضيف هذا الكاتب بقوله "في ثمانية سنوات تسبّبنا في مقتل الجزائريين ثلاثة أضعاف عدد جنود الانكشارية الموجودين في الجزائر، لماذا نقوم بكل هذا السوء أكثر من الأتراك يا ترى؟ لأن هدفنا يختلف عن هدفهم"[7].

---

1 –. عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519" **في المجلة التاريخية المغربية**، العدد 05 ، تونس 1976 ص 99 .

2 - Houari touati **Entre Dieu Et Les Hommes Lettres Saints Et Sorciers Au Maghreb 17eme Siècle**, éditions de l'école des hautes études en science sociales Paris. 1994*, p 115*

3 – جميلة معاشي، **المرجع السابق**، ص 41

4 – Pananti Filippo, **relation d'un séjour à Alger**, le normant, Paris, 1820.p365.

5 – كان قائدا عسكريا ومترجما ضمن الحملة الفرنسية على مصر .

6 - Desjobert, Amédée**. l'Algérie en 1838**, librairie de du fart Paris .1838,p33

7 - Desjobert, Amédée. **Opcit**, p33

لقد كان همّ الأتراك الوحيد – كما يردف هذا الكاتب– هو كيفية حكم البلاد وإدارتها واستثمار مقدراتها وسكانها ولم يكن في نواياهم استعمار البلاد بل كان همهم الوحيد تحقيق الاستقرار الداخلي، ولم يلغوا الهوية العربية للأهالي، بل تركوا لهم التصرف في قطاعات شاسعة من البلاد. وإذا فرض الأتراك ضريبة على الأهالي فلم يكن هؤلاء يخشون شيئا على ممتلكاتهم من الضياع والسلب[1].

ثم يردف الكاتب :"وفي كلمة واحدة لم تدعم الحكومة التركية وجودها في الجزائر بالكولون التركي، ولم يعلنوا كما فعل الفرنسيون الاحتلال المباشر للبلاد بل ترك الأهالي ينتفعون بأراضيهم وممتلكاتهم. ولم يستدعي الأتراك كما فعل الفرنسيون مشردي آسيا لاحتلال الجزائر"[2].

"لقد فهم الأتراك قوة الأفكار المتعلقة بالملكية ولم يضعوا أنفسهم ضد هذه الأفكار التي تقوم عليها حياة الأفراد والأمم إننا نحن الفرنسيون لم نفهم ما فهمه الأتراك من قبل"[3].

وعلى النقيض من ذلك تأتي رؤية شارل أندري جوليان زعيم المؤرخين الفرنسيين التي استقاها من نخب المستشرقين أمثال "غوتي" و"بوسكي" و"سيلفيستر دوساسي" Silvestre de Sacy و"جوني فرعون" Joanny Pharaon و"لويس بريسني" Louis Bresnier وغيرهم، ممن رسموا صورا قاسية للفترة العثمانية، تصف علاقة الجزائر بالثقافة العربية والإسلامية خلال فترة الحكم العثماني على أنها علاقة المعتدي بالمعتدى عليه[4].

ويعتبر جوليان الذي ينطلق من مقاربات تاريخية ذاتية أن الخلافة الإسلامية التركية أو العثمانية، تمثل عائقا في وجه الوحدة الوطنية الجزائرية، تلك الوحدة التي يراها سعد الله قد تحققت بجميع مضامينها السياسية والجغرافية منذ القرن السابع الميلادي[5].

ويمثل قزافيي ياكونو Yacono Xavier نموذجا بارزا للمدرسة الغربية إذ يقر أن رفض الفرنسيين فكرة تقليد الأتراك في إدارة شؤون البلاد، إنما لكون النظام التركي كان يقوم على "خداع الأهالي وإذلالهم"، فالدايات يقومون بتقاسم الضرائب مع البايات، وهؤلاء يأخذونها من شيوخ القبائل بالقوة والحديد والنار على حد تعبيره. إن البلاد شعبها جاهل وغير مثقف، يقيم في "بربارية" barbarie التي تلفها سحب قاتمة، فلا القوة ولا الحيلة هي التي يجب على الفرنسيين استعمالها، ولكن إذا حالفنا الحظ في أن نجعل العرب يقتربون من ثقافتنا وحضارتنا وبطرق "نظيفة"، فإننا نعمل على القضاء على النظام الضار الذي يعطي لشيخ القبيلة حق استغلال

---

1 - **Ibid.** , p33
2 - **Ibid**, p33
3 - **ibid**, p33 .

4 – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**.. المرجع السابق، ص64.

5 – أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق** ، ص64.

قبيلته حتى إفنائها، يجب القضاء على طرق "الإدارة التركية" التي لا تقيم وزنا لمستقبل الأهالي ولا تعترف إلا بالواقع الراهن والمصلحة الثابتة لها1.

ويرى الحاج الشريف الزهار في مذكراته أن الأتراك لم يكونوا مستعمرين فلم يحتلوا أرضا لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم أصلا من احتلال البلاد، فبسكرة كان بها 63 تركيا، وبجاية 44 تركيا، ومعسكر 42 ، وغيرها من المدن والحاميات لكنهم صنعوا بهذه الأعداد القليلة الولاء لهم[2].

ويقول حمدان خوجة النخبوي الجزائري المخضرم في المرآة، مقارنا بين الحكم التركي والحكم الفرنسي، إنه "يستحسن الحكم التركي مع اعترافه بمواطن الضعف والغلطات التي ارتكبت في عهد الدايات خاصة، وسبب ذلك مخالفتهم للنظم المقررة، مع المظالم التي كان الجيش يرتكبها باحتقار السكان وإرهاقهم بالمغارم وتسخيرهم في الأعمال الشاقة"[3].

ويرى "عبد الله العروي" أن مكانة الأتراك في المغرب الأوسط بدأت تتراجع بعد استرجاع وهران سنة 41792، وهو ما يدفعنا للتساؤل هل كان الوجود التركي ظرفيا بالمنطقة، ومرتبطا بالتهديد الاسباني لها؟ وبالتالي لا يمكن الحديث عن مشروع سياسي متكامل، أم أن الظروف المحلية والدولية كانت أقوى مما خطط له الأتراك من إقامة خلافة إسلامية مترامية الأطراف...

ويشبه المؤرخ الجزائري العربي الزبيري الوجود العثماني في الجزائر، بالوجود المرابطي في الأندلس، حيث قام يوسف بن تاشفين بنجدة المسلمين في هذه البلاد، وأمد في عمر الإسلام هناك نحو ثلاث مائة سنة أخرى[5]، غير أن ضعف الأتراك في إدارة البلاد زانهيار حكمهم في 1830 كان بسبب أنهم لم يندمجوا في المجتمع الجزائري كاندماج الأندلسيين النازحين من اسبانيا بسبب تخوفهم من الجزائريين مما دفعهم لحرمانهم من المناصب كما فعل الرومان من قبل[6].

02.. السلطة الحاكمة:

تناول المؤرخون كثيرا طبيعة السلطة الحاكمة ومكوناتها وتباينت آراؤهم كثيرا، وفي هذا المضمار أورد "بيار دان" في كتابه تاريخ بربارية وقراصنتها[7]، صورا قاتمة عن السلطة والأتراك والبربر والممارسات التي كانت شائعة،

---

1 - Yacono Xavier." La Régence d'Alger en 1830 d'après l'enquête des commissions de 1833-1834" . In**: R.O.M.M,** N°1, 1966. pp. 229-244.

2 – توفيق المدني **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754–1830** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974، ص08.

3 – المهدي البوعبدلي، **أضواء على تاريخ الجزائر، المرجع السابق**، ص53 .

4 – عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق**، ص369.

5 – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، (ش و ن ت)، الجزائر 1972. ص 34.

6 – محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، (ش .و. ن. ت) دت، ص ص 217–218.

7 – **بربارية** ***Barbary*** كلمة إغريقية استعملت للدلالة عن الأجانب لكنها في العصور الحديثة دلت أكثر على العناصر البشرية المتوحشة ذات الطباع القاسية.

والتي توحي حسب رأيه بانعدام وجود نظام سياسي تسير البلاد وفقه وينظم شؤونها، وكانت أحكامه قاسية فضّة، حيث يقول:" يجب التسليم والإيمان أن البشوات وقادة الجيش وهم سادة المنطقة كانوا يختارون أولا من الأسرى الرجال المهمين الذين يبعثون بهم لسيدهم الكبير في القسطنطينية، ويختارون في نفس الوقت أفضل النساء والصبايا الجميلات، للسلطان الذي يشبع نهمه منهن، وفي بعض الأوقات تتحول إحداهن إلى زوجة للسلطان وتجلس على العرش"[1].

وأما "لوجييه دوتاسي" Laugier de Tassy ، فيقرُّ بأنه :"لا توجد لنا أي علاقات بمنطقة بربريا تدلنا عما يحدث في هذا البلد"، ثم يضيف "لقد كانت الحرب التي اشتعلت بين هولندا و إيالة الجزائر قد أخذت شطرا كبيرا من النقاشات عند الناس الذين كانوا يتحدثون عن الجزائريين، ولم يكونوا يعرفونهم جيدا[2] مثلما يعرفون سكان شعوب أخرى بعيدا عنا[3]" وفي هذه الشهادة إنصاف وتجنب للخوض في شؤون الدول دون إحاطة ومعرفة بها.

ويذكر "دو قرامون" في مقدمة كتابه تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية[4]، أن الدولة الجزائرية لم تستطع التجرد من الخلفية الدينية التي كانت تحكم الصراع بين الشرق والغرب، حيث يقول :" لقد كانت تمثل فزعا كبيرا وأزمة حقيقية للمسيحية، ولم تستطع أي مجموعة أوروبية أن تكون في منآى من ربابنتها الشجعان وأعطت للعالم مثالا الأمة التي تعيش على القرصنة ولا تستغني عنها"[5]، والسلطة الفعلية مثلما يرى كانت بيد الديوان[6]، وتركت للداي القضايا الشكلية، سواء تعلق الأمر بالعيش في القصر وكثرة الحراس الذين يؤمنون وظيفته، و"أن الباشا لم يكن سوى موقعا على قرارات الديوان التي لا يستطيع الاعتراض عليها"[7]. وأثار "دوغرامون" في نقطة أخرى مسألة مشروعية السلطة التركية في الجزائر حين يتحدث عنها فيقول بأنها كانت تشعر بنوع من النقص في شرعية حكمها، وهو ما يفسر ردة الفعل القوية تجاه من ينبش في ماضيها أو من يعرّض بها، خاصة إذا تعلق الأمر بالمشاغبين من الجيران من المغاربة والتونسيين، وينسبون الجزائريين للجهل وقلة الفطنة والرضوخ لحكم الأتراك[8].

---

1 - Pierre Dan, **Op.cit** .p 397

2 – يقر دوتاسي بمحدودية معرفة الغربيين بالجزائريين فكتب كتابه السابق الذكر ليشكل صورة تكون محور التعامل مع الجزائر.

3 - Laugier de Tassy, **op.cit**. . préface.

4 – يحمل عنوان الكتاب أكثر من دلالة ويتضمن توجيها غير مباشر لنفسية القارئ في رواق خاص يوصله إلى نتائج معينة.

5 - 5 - Henri-Delmas de Grammont, **Histoire d'Alger sous la Domination turque 1515-1830,** Earnest Leroux, éditeur, paris 1887 .préface.

6 – الديوان يمثل المؤسسة الثانية بعد الباشا حاكم البلاد، لكنه كان يملك صلاحيات واسعة وبيده الحل والربط.

7 - de Grammont. **op.cit**. P125.

8 - Laugier De Tassy. **op.cit** .p 301.

وقد كان للداي شعبان[1] سجالا طويلا مع مولاي إسماعيل ملك المغرب ومحمد باي حاكم تونس، فقد وصف مولاي إسماعيل الجزائريين مرارا بقلة الحكمة والتهور والسلطة بالشذوذ، ولم يستسغ الداي شعبان هذا الوصف فشن حملة على المغرب قادها بنفسه ووصلت جيوشه مدينة فاس[2]، وشتت جيش المغاربة مما اضطر الملك مولاي إسماعيل إلى طلب الصلح مع الجزائريين ولكن بأثمان باهظة[3]. ووجه الداي شعبان حملة أخرى لتونس فحاصرها خمسة أشهر، ودفع الباي محمد إلى الفرار نحو طرابلس بزوجته وأولاده وغلمانه، ودخل الداي شعبان تونس واستبيحت المدينة للجيش الانكشاري أياما[4]. وقد فسر هذا التوتر بين الجيران صاحب الثغر الجماني حيث يقول :" ثم إن دولة الأتراك ضربت بجيرانها وألقت بهذا المغرب الأوسط كلكلها ومدت رواقها على ما بين وجدة إلى منتهى أعمال تونس واتصلت بأطراف عمالة الخليفة في القديم فدوخوا عصاتها ودانت لهم أهلها فانقطعت عروق الفتن وذهبت مواد الشقاق ولم يبق صائل غيرهم"[5].

وقد التزمت السلطة في الجزائر بالولاء للدولة العثمانية وبقيت علاقات الأخوة والتعاون في السراء والضراء قائمة، رغم استقلال الدايات بالحكم منذ 1710، واستمرت ترفع كل سنة الهدية الرمزية للباب العالي اعترافا بأحقية السلطان العثماني ووجوب طاعته واحترامه[6]، بل ان الدايات كانوا يسعدون بالأحداث المفرحة التي تحدث في العاصمة القسطنطينية فيعمدون إلى زيادة أجور الانكشارية والموظفين، ومنح علاوات لهم[7].

و لم تكن الدوائر السياسية والعسكرية هي من يحكم فقط بل كان للدوائر الدينية والمرابطية[8] نصيب في ذلك وهذا من أجل تحقيق الهدوء والاستقرار ففي المناطق التي تخضع لسيادتها وخاصة المدن ربطت علاقات قوية مع العلماء والمرابطين، ومنحتهم امتيازات كبيرة مقابل حيادهم في شؤون الحكم والسياسة[9]، أما الجهات المناوئة فالتزمت منها الحذر.

---

1 – حاج شعبان داي تولى شؤون الإيالة سنة 1689 بعد ثورة الانكشارية على ميزومورتو وفراره إلى أزمير وبدأ عهده بوقوع حريق كبير في ميناء الجزائر سنة 1692 وفي هذه السنة أيضا انتصر الداي شعبان على الجيوش المغربية وفي 1693 وقعت ثورات وفتن داخلية كبيرة بين مختلف القبائل خلال احتفال بعيد الأضحى. وفي السنة المقبلة ثارت الانكشارية على الداي شعبان وقتلته خنقا. انظر

de Grammont h.-d. **op.cit**. p260-270.

2 - Laugier De Tassy **op.cit**. p 301.

3 – يذكر أن السلطان المغربي "مولاي إسماعيل" عندما كان ذاهبا للخيمة التي نصبت لأجل عقد الصلح مع الداي شعبان، كانت يداه مكتوفتان، وعندما وصل الخيمة قبّل الأرض ثلاث مرات، ثم دعا الله أن يستره، ثم خاطب الداي قائلا له:" أنت خنجر وأنا لحم فان شئت قطع" فلم ينله مكروه من الداي، انظر: محمد بن ميمون، **المصدر السابق**، ص 24.

4 - Laugier De Tassy **ibid.** P302

5 – ابن سحنون الراشدي، **المصدر السابق** ص ص 441–442.

6 - Robert Mantran, **L'évolution des Relations Politiques entre le Gouvernement Ottoman et les Odjaks de l'ouest du XVIème au XIXème siècles** , in ROMM, université d'Aix-Marseille, pp 52-65

7 –De Voulx, A.. Tachrifat, **op.cit**. .p77.

8 – انظر خريطة توزيع النفوذ الطرقي في الجزائر الملحق رقم 12.

9 - Jean de la Faye, **op.cit**, pp.9,143,145-151,158-160.

ويرى "بيار بوايي" أن الأتراك كانوا يدركون أن قوة المرابطين وتأثيرهم الكبير على السكان مما حدا بهم إلى تجاوز كبائرهم وانحرافاتهم، شرط ألا يتهجموا مباشرة على السلطة القائمة. وكانوا يستفيدون من غنائم البحر والقرصنة، ففي سنة 1702 كما تقول إحدى الوثائق استفاد نحو 36 مرابط من مدينة الجزائر من أعطيات القرصنة[1].

ويؤازر هذه الرؤية باحث معاصر بقوله :"يصعب تفسير ظاهرة التقارب التي كانت قائمة بين بعض رجال الدولة التركية والطرق الصوفية المسالمة ومرابطيها"، فهل كان التقارب بفعل الإيمان بأهمية هذه الطرق في حياة الإنسان وأهميتها في تزكية أخلاقه، أم هو التقرب من أجل البروز بمظهر المتدين أمام الناس وأمام العامة وإظهار الورع والتقوى[2].

وقد حرصت السلطة الحاكمة على القيام بكل المراسيم الدينية لتتجنب أن تكون مثلا سيئا"[3]، سواء بالنسبة للطامعين في السلطة أو الأهالي الذين يحبون السلطة المتديّنة. ونتيجة لذلك فقد سعوا للتقرب من المرابطين، حتى في المناطق البعيدة والصعبة، كمنطقة القبائل حيث إمارتا كوكو وبني عباس، التين استوطنت بهما العديد من العائلات المرابطية، فعمد الأتراك إلى التقرب من عناصرها المؤثرة بالهدايا والحبوس والإعفاء الضريبي[4].

وتعددت مظاهر التقارب بين الطرفين لتتحقق الثقة بينهما، حفاظا على المصالح المشتركة القائمة بينهما، كتقديم النذور و"الوَعْدات" للأولياء والمرابطين[5]، أو الاستعانة بهم في ضبط أحوال منطقة معينة يسيطرون عليها[6]، وكانت السلطة السياسية تتخير الجهات والمقابر التي يرقد فيها الأولياء والمرابطين للدفن فيها، تبركا بها[7].

فقد كان الاعتقاد في كرامة المرابطين يتجسد أحيانا في الإيمان المطلق بحرمتهم وقربهم من الخالق عز وجل، ففُرض على الوجهاء ورموز السلطة والناس التقرب منهم لدفن موتاهم، فيتحرون الدفن قرب مدافن الصالحين منهم وذوي الكرامات، فاحمد داي 1697 دفن قرب ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وكذلك دفن بهذا

---

1 – Pierre Boyer, "Contribution à l'Etude de la Politique Religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles)" In: **R.O.M.M**, N°1, 1966. pp. 11-49.

2 – عبد الكريم غلاب، **المرجع السابق**، ص052.

3 – Filippo Pananti, **Op.cit** p.*332*

4 - Pierre Boyer, **op.cit**. pp. 11-49.

5 – حتى بايات تونس ساروا على منهج هذا التقارب فقد قام الباي حسين بن صالح عندما خرج في إحدى حملاته العسكرية سنة 1807 بأخذ نذر على نفسه تعهد فيه ببناء دار الولي الصالح سيدي علي العريان والسيد محمد بن سيدي سعيد وإصلاح مسجده وتخصيص أوقاف يستعان بها في رعاية طلبة العلم مقابل أن يسانده السكان في دعم حملاته العسكرية في باليك الشرق عبد الكريم غلاب المرجع السابق ص5.

6 – كثيرة هي الأمثلة عن بشاوات وبايات جزائريين جسدت سياستهم التعاون والتحالف مع هذه الفئة فقد أورد فيرو في دراساته أن اتفاقات تمت بين حسين باشا والمرابط سيدي عيسى بن سيدي مومن يتولى هذا الأخير من خلالها الوساطة مع الثوار والمتمردين حين اندلاع الثورات وفتح الحوار بين الطرفين:

Pierre Boyer, **op.cit**. pp. 11-49

7 – ابن المفتي، **المصدر السابق**، ص 32.

الضريح أحمد باي قسنطينة بناء على وصيته، ودفن إبراهيم باي الدولاتلي 1710 قرب ضريح سيدي الكتاني بجانب المدرسة والمسجد الذي يحمل اسمه بوسط مدينة قسنطينة[1].

وهكذا فقد صار للأولياء والصالحين شأنا كبيرا وتأثيرا بليغا في حياة العامة والخاصة، سواء في حياتهم أو بعد مماتهم.

وكان على هرم السلطة شخص الباشا أو الحاكم العام، وفي هذا الصدد يرى لوجييه دوتاسي أن الباشا هو الحاكم المطلق يحكم كل الإيالة وفق هواه، ينفذ فيها سلطانه ويعاقب من يشاء، ويتحكم في المناصب ويتصرف فيها كما يشاء. لكن المنافسين كُثُر والثورات والانتفاضات متكررة تتطلب من الداي القوة والحزم والشدة أحيانا، وأحيانا أخرى تتطلب الطيبة واللين. وكان اختيار الداي وفق تنظيم الإيالة يساهم فيه كل رجال الجيش الذين يجتمعون في قصر الداي المتوفي أو الهارب[2].

ويذكر "دو تاسي" de Tassy أن الشخص المؤهل للقيام بوظيفة الداي يجب أن لا يكون مطعونا فيه وان تكون سيرته حسنة ليكون في مستوى المهمة الملقاة على عاتقه ويستقبل الأزمات والملمات بكل رباطة جأش وعزيمة.

لكن كتابا غربيين آخرين يعتقدون أن منصب الداي مفتوح للأقوى من الانكشاريين والأكثر شعبية[3].

و الحاكم يمثل المسئول العسكري و السياسي للبلاد، و القاضي الأعلى في أمور الحرب والسلم و المسؤول على الضرائب وعلى التوظيف، وكانت أوامره مطاعة لأنه في نظر أركان الحكم " أب للجميع"، وهذا ما تحمله كلمة داي التي تعني الخال في الثقافة العثمانية. ورغم ذلك يشارك ضباط الانكشارية عن طريق الديوان[4] في الحكم وممارسة السلطة الفعلية. وقد وصف الكاتب الاسباني "جوب كانو" الباشا والداي بقوله :" كان الداي غنيا لكنه لم يكن يتصرف في ثروته ولم يكن سيدا عليها وأب بدون زوجة ولا أطفال طاغية بدون حرية وسيدا لا يملك لأنه مستعبد من طرف أتباعه"[5].

ويتم انتخاب الداي وفق أعراف البلاد السائدة ففي حالة شغور منصب الداي تجتمع قيادة الجيش الانكشاري في منزل الداي، ثم ينادي الأغا بأعلى صوته في القيادة العسكرية طالبا منها من تريد انتخابه لهذا المنصب[6]، فيقع تسمية واحد أو أكثر، وتتكرر المناداة باسم الشخص المرغوب فيه، ثم تتجمع الكلمات شيئا فشيئا نحو شخص بعينه، ولما يحصل على التزكية يتم تنصيبه.

---

1 – محمد بن علي شغيب، **المرجع السابق**، ص122.

2 - Laugier de Tassy, **op.cit.** p212.

3 – Inconnu, **Description de l'État et de la ville d'Alger,** imprimerie de poveg, / gallica,bnf,fr, p18

3– شدري رشيدة معمر، **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر من 1871 – 1830 فترة الدايات**، (ر.م.غ.م) قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006 .ص21.

5 – شدري رشيدة ، **المرجع نفسه**، ص21.

6 - Laugier de Tassy, **op.cit** 213.

وقد كان "الباشا" وهو الرئيس الأوحد للدولة والمستوجبة طاعته بنصوص الشريعة الإسلامية مستوفيا شروط الحكم من الناحية السياسية والعسكرية لكنه غير مؤهل دينيا لرئاسة الناس بسبب فقده أدنى المؤهلات التي تخول له الوصول لهذا المنصب، وأقصى ما يربط الحكام بالوسط الديني مظاهر الاحترام للمرابطين والشيوخ كما ذكرنا سابقا.

03.. حكام الايالة.

01-03 الأول حكام المركز.

يعتبر بعض الباحثين أن التقسيم الكلاسيكي للحكم العثماني في الجزائر على أساس أربعة مراحل رئيسية مرحلة البيرلبايات ومرحلة والباشوات والأغوات والدايات، ليس له ما يسنده من الوثائق التاريخية، وهناك من يقلص هذه المراحل إلى ثلاث، بينما يزيد فيها بعضهم إلى خمس مراحل، غير أن القاسم المشترك طيلة العهد العثماني هو استمرار الولاء الروحي والديني من إيالة الجزائر للخلافة العثمانية، واستمرار تعيين الباشوات الذين يتولونها ولو كان ذلك بصورة اسمية[1].

ويمكن تصنيف حكام الجزائر وحكام الأقاليم إلى صنفين، صنف أمعن في تسيير شؤون حكمه بالعدل والإنصاف ودفع الأذى عن الرعية قدر المستطاع، وقسم انغمس في الملذات والشهوات وانصرف عن رعاية شؤون الدولة، فكان عرضة للنقمة والثورة.

وتباين موقف السلطة خلال هذه الفترة من العلماء والفقهاء، فمنهم من أحسن معاملته وكُرّم، ومنهم من أسِيء معاملته، وتعرض للسجن والنفي والقتل، وكان الحكام الأقوياء وأصحاب الانجازات الكبيرة، في منأى عن النقد والنصح والنقمة، التي كان الفقهاء وراءها بحكم واجب إسداء النصح والتي قد تتحول إلى ثورات فيما بعد.

واختلف المؤرخون في تحديد عددهم نظرا لتضارب المراجع وتباينها، ويمكن القول أن عددهم يربو على التسعين حاكما، تولوا حكم الجزائر خلال العهد العثماني. ابتداء من 1519 بدء بعروج وانتهاء بالداي حسين سنة 1830 على امتداد 311 سنة.

ومن الذين كتبوا في الموضوع الاسباني هايدو[2] حيث ذكر نحو 31 حاكما تولوا إيالة الجزائر دون احتساب تكرار بعضهم لعهدته وقد بدأ هايدو بعروج مؤسس الإيالة وانتهاء بمصطفى باشا الذي تولى الحكم سنة بدء 1596.

ثم تحدث في المضوع ابن المفتي حسين بن شاوش[1] صاحب التقييدات التي حاول من خلالها تقديم صورة عن حكام الجزائر منذ تأسيس الإيالة، كما نجد في هذا الشأن محاولات ابن حمادوش في ذكر باشوات الجزائر في

---

1 – للاطلاع على جملة التعيينات وطبيعة الاتصالات التي كانت بين الإيالة والخلافة العثمانية من خلال الوثائق الأرشيفية يرجع إلى: خليفة حماش، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010.

2 - Fray Diego de Haido, **Histoire Des Rois d'Alger,** traduite et annotée par H.-D. De Grammont, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur. Alger 1881

رحلته حيث ذكر منهم نحو 23 حاكما تولوا من 1064هـ 1653م إلى سنة 1158هـ 1745م تاريخ الانتهاء من تأليفه[2]، وفي أواخر العهد العثماني تأتي مذكرات أحمد الشريف الزهار الذي نوه فيها بذكر الباشوات الكبار أصحاب المنجزات الكبيرة ولم يزد عدد من ذكر عن إحدى عشر باشا بدء بعلي باشا بوصباع (1168هـ 1754م 1179هـ 1765م) وانتهاء بالداي حسين3.

ولا تكتمل صورة حكام الجزائر غلا بانتهاء الحكم التركي سنة 1830 حيث حاول المؤرخون ضبط عددهم وتقييد أعمالهم المختلفة التي قاموا بها وفي هذا الشأن تأتي محاولة ألفونس روسو صاحب ترجمة الزهرة النيرة لابن رقية التلمساني سنة 1841م4

أما "أرنسيت مرسيي" Ernest Mercier فقد ذكر نحو 85 حاكم في كتابه "تاريخ إفريقيا الشمالية" من "خير الدين بربروس" إلى غاية "الداي حسين" مع احتساب عمليات العودة للسلطة من طرف بعضهم5، عدها بنحو 12 عملية من طرف "حسن بن خير الدين" مرتين "خضر باشا" ثلاثة مرات "كوسى مصطفى" مرتين و"حسن فينيزيانو" و"رمضان باشا" و"حسين الشيخ" و"أحمد باشا" و"إبراهيم باشا" و"يوسف باشا" مرة واحدة، وبقيت الفترة الممتدة من 1623 إلى 1633 بدون معلومات[6]، ويمكن اعتماده لرسم صورة تقريبية لحكام الجزائر في الفترة العثمانية.

ثم يأتي "هنري ديلماس دوغرامون" سنة 1887 ليضع بين يدي القارئ كتابه تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية 1520-1830، حيث قسمه إلى 26 باب تعرض فيها لجملة الأحداث والوقائع التي عاشتها الإيالة في ظل الحكم التركي ومعتمدا في الوقت نفسه على التقسيم الكلاسيكي للفترة العثمانية، ذاكرا نحو 87 حاكم تداولوا على سدة الحكم على امتداد 312سنة7.

وكتب "أوجين بلانتي" سنة 1889 "المراسلات بين بشوات الجزائر وحكام فرنسا خلال الحكم العثماني" وفي نهاية تأليفه وضع جدولا ضمّ قائمة حكام البلاد خلال الفترة المدروسة ومقسما فترة الحكم العثماني إلى ثلاث مراحل تولى خلالها نحو 101 حاكما[8]. وكتب دوفولكس في عدد سنة 1869 من المجلة الإفريقية Revue

---

1 – تم دراسة كتابه والاستفادة منه في الفصل الثاني من هذه المذكرة.

2 – ابن حمادوش، **المصدر السابق**، ص ص 225-233

3 – انظر: أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**.

4 – رسالة بن رقية بعنوان "الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" كتبها بأمر من الباي محمد بن عثمان سنة 1194 ونشرت بالعربية ثم ترجمت إلى الفرنسية من طر-ف روسو الفونس.

5 - Ernest Mercier**, histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830),** t3ème Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868.

6 - Ernest mercier, **op.cit**. p,555.

7 - Henri-Delmas de Grammont, **Histoire d'Alger sous la Domination turque 1515-1830,** Earnest Leroux, éditeur, paris 1887

8 - Eugène Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, 1579 - 1833** t2 , (1700-1833) ,Paris, 1889

Africaine " تقييدات علماء وباشاوات الجزائر" اعتمادا على تقييدات بن المفتي السابق ذكرها، واعتمد عليها كذلك فيما بعد جورج دلفين (G.) Delphin في المجلة الآسيوية .Revue Asiatique لسنة 1922. ولا نغفل في هذا الإطار أعمال ومقاربات المؤرخَين الجزائريَّين "أحمد توفيق المدني"1 و"نور الدين عبد القادر"2 والمؤرخ التركي المعاصر "عزيز سامح يلتر"3.

ومن خلال قراءة موحدة وتقريبية للمؤلفات السابقة يمكن الإشارة إلى:

أولا / نلاحظ من حيث توزيع الحكام حسب القرون الثلاث التي مرت بها الإيالة، أن المائة سنة الأولى أي من "1520 إلى 1620" حكم نحو 39 باشا، بمعدل 2.5 سنة للحاكم الواحد، وفي المائة الثانية الممتدة من "1620 إلى 1720" حكم نحو 32 حاكما بمعدل 3.12 سنة للحاكم الواحد، في حين بلغ عدد حكام المائة الثالثة الممتدة من 1720 حتى سنة 1830 على اعتبار أن الداي حسين تولى سنة 1818 واستمر حكمه حتى سقوط البلاد بيد الاحتلال نحو 15 حاكم أي بمعدل متوسط 6.66 سنة، وهو ما يبرز بجلاء عدم استقرار مؤسسة "الباشا" خلال المائة سنة الأولى "بداية الحكم العثماني" خلافا للمائة الثالثة التي تربع على كرسي السلطة عدد أقل من الحكام، لكن فاعلية الاستقرار لم تكن مسايرة للتطورات الحاصلة في العالم.

ثانيا / نلاحظ أن أغلب عمليات العودة للسلطة تمت في المائة سنة الأولى من الحكم التركي أي من 1520 إلى 1620.

ثالثا/ تعد فترة حكم الداي "محمد بن عثمان" أطول فترة في تاريخ الجزائر العثمانية حيث استمر في الحكم نحو 24 سنة من 1766 إلى 1790، ثم يليه البشوات التالية أسماؤهم:

محمد باشا حكم 16 سنة من سنة 1748 إلى سنة 1754

خير الدين باشا بربروس المؤسس حكم 15 سنة من سنة 1518 إلى سنة 1533

حسن أغا حكم 13 سنة من سنة 1533 إلى سنة 1545

إبراهيم باشا حكم 13 سنة من سنة 1762 إلى سنة 1745

بابا علي حكم 12 سنة من سنة 1754 إلى سنة 1766

الداي حسين حكم 12 سنة4 من سنة 1818 إلى سنة 1830

رابعا/ يمكن القول أن كثرة عدد الحكام دليل على سوء استقرار الأحوال السياسية للبلاد، فمتوسط حكم الباشا الواحد طيلة الفترة المدروسة هو" 3.45 سنة"، قتل منهم أثناء أداء الخدمة نحو أثنى عشرة، وطرد بعضهم

---

1 – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا، داي الجزائر 1766-1791**، (م وك) ، الجزائر، 1986، (نشر الكتاب لأول مرة سنة 1937.)

2 – نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965

3 – عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر محمود علي عامر، بيروت 1989

4 - Eugène Plantet, **Opcit** p 585.

وفر البعض الآخر بعد انقلاب الجيش الانكشاري عليه بسبب تأخر الأجور أو ضعفها. يقول الطبيب الانجليزي "طوماس شو" أن أغلبهم لم يكونوا كلهم صالحين، وينهون فترة الحكم مقتولين أو مشنوقين، ويعلق على ذلك بقوله :" واحد من عشرة دايات فقط يحظى بشرف الموت على سريره والتسعة الباقون يغتالون بطرق مختلفة"[1].

خامسا / نلاحظ أن عدد الباشاوات الذين حكموا الإيالة لفترة تزيد على عشرة سنوات قليل لا يتجاوز السبعة، وهو ما يؤكد عدم استقرار جهاز الحكم وحدوث الاستقطاب بين مختلف أجهزته خاصة بين الديوان والجيش الانكشاري ورياس البحر، غير أن هذه الاضطرابات التي تقع داخل أجهزة السلطة لم تكن تؤثر كثيرا على العامة بل لم تكن العامة تعلم بها إلا بعد حدوثها[2] .

أما عن مستواهم التعليمي فقد كان أغلب الباشاوات بعيدين عن عالم الفكر والعلم والثقافة، تسلموا مقاليد الحكم في ظروف خاصة، وكانوا قبلها يمارسون وظائف دنيا، فكان منهم الإسكافي والحمال والحارس وغسال الموتى والكناس[3]، وغير ذلك من المهن الحقيرة في السلم الاجتماعي، فالداي أحمد باشا العجمي 1695-1698م كان إنسانا مسنا ومريضا وكانت وظيفته ترقيع الأحذية[4]، ولما تولى السلطة بفضل الديوانّ، اختزلت مهمته في التوقيع على الوثائق الرسمية التي كانت توضع بين يديه، أما الحكم الفعلي فقد كان بيد الإنكشارية، والشيء نفسه يقال عن الداي علي باشا 1809 الذي كان هو الآخر طاعنا في السن، ويشتغل في تغسيل الموتى1808، وجيء به على أعين العامة ليفك التنافس بين قادة الانكشارية، ويوفر نوعا من الشرعية على استئثارهم بالحكم ولذلك لقب بـ"علي باشا الغسال"[5].

وقد رفض الباشوات دخول المطابع للبلاد خوفا من انتشار العلم والمعرفة، فتكون مكانتهم وسلطانهم في خطر[6] مثلما يقول "فيليبو باننتي".

وقد لاحظ المؤرخون أن باشوات ثلاثيي السنين اتسموا بسوء تسيير فترات حكمهم بسبب تحديدها بثلاث سنوات، فانغمسوا في الملذات وجمع المال ترقبا العودة إلى أرض الوطن: القسطنطينية[7].

وقد سجل دوغرامون de Grammont هذه الأمور في كتابه "الجزائر تحت الهيمنة التركية" حيث يذكر:" وعندما تتعرض أمة من أمم أوروبا للقرصنة يعجز الباشا على أخذ حقها من القراصنة ولا يستطيع

---

1 - Thomas Shaw, **op.cit** p404.

2- أحمد توفيق المدني، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب إشراف الجزائر 1754-1830**، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974، ص08.

3- كان الداي مصطفى الذي حكم من 1798 إلى 1805 يعمل في كنس الزقاق المقابل للثكنة ثم انتقل إلى الثكنة ثم قصر الباشا وظل يترقى حتى بلغ أعلى منصب في الإيالة، انظر: أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855**، (م و ك) الجزائر، 1989، ص39..

4 - بن ميمون الجزائري، **المصدر السابق**، ص25.

5 - شدري معمر، **المرجع السابق**، ص .22

6 - Philipo Pananti, **op.cit.** p230.

7 - De Grammont. **op.cit**. p. 125.

الاعتراف بعجزه سوى تسويف الحل بالكذب والادعاء من أجل كسب الوقت حتى تمر الثلاث سنوات التي من حكمه ليعود إلى القسطنطينية محملا بكنوزه قبل أن ينفجر الوضع"[1].

وأما حكم الدايات الذي بدأ منذ 1671 فيمكن اعتباره بداية استقلال إيالة الجزائر عن الخلافة العثمانية وتفردها بتسيير شؤونها الداخلية والخارجية، برسم الاتفاقات والمعاهدات مع الدول الأجنبية، وحرية إعلان الحرب وعقد السلم معها، لقد استقلت الجزائر ككيان جغرافي لكن هرم السلطة لم يستقل نهائيا عن السلطنة وكان لزاما عليه أن يحصل على فرمان التولية من الخليفة أو يكون سيف الجلاد بانتظاره في قصر الحكم[2].

ويرى المؤرخ "فاضل بيات" أن التحول إلى نظام الدايات لم يكن انقلابيا كم يصوره البعض، وإنما جاء بالتدريج فكلما حدث نقص أو خلل في جانب معين عوضه الديوان دون أن يلقى معارضة من السلطان3، ومنذ ذلك التاريخ تحول النضال والجهاد الإسلامي ضد المسيحيين من جهاد مقدس إلى حرب غنائم، سعت كل الأطراف إلى اغتنامه[4].

ويمكننا تصنيف الحكام إلة ثلاثة أصناف:

أولا: الحكام المؤسسون للإيالة.

يعزى الفضل في تأسيس الإيالة بدون شك للإخوة عروج وخير الدين بربروس، الّذين قلّما أطماع الإسبان في المغرب الإسلامي وأرسى قواعد الدولة، ولعبا دورا أساسيا في إلحاقها بالخلافة العثمانية، وبالرغم من الاستشهاد المبكر لعروج في نواحي تلمسان، فقد استطاع خير الدين تحقيق الكثير من المكاسب الداخلية والخارجية.

وكان حسن أغا 1533-1544 الذي تولى باقتراح من خير الدين5 من أفضل حكام الإيالة فقد ضم قسنطينة لحكمه سنة 1535[6] وأرسى قواعد الأمن والعدل فيها بعد سنوات من الفوضى، غير أن أكبر انجاز

1- **ibid.**, introduction, p. VIII

2- - كثير من الباشاوات والبايات انقلبوا على الشرعية بالمفهوم السياسي المعاصر، لكن دوامهم في كرسي الحكم لم يدم طويلا، فكان الديوان والانكشارية لهم بالمرصاد، مثلما حدث لمحمد بكداش 1707-1710 وصالح باي 1771-1792 قسنطينة وغيرهما.

3 – فاضل بيات، المرجع السابق، ص118.

4 – عمار بوحوش، **تاريخ الجزائر السياسي من البداية وإلى غاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1997.ص60.

5 – استدعي خير الدين من طرف السلطان سليمان القانوني إلى استانبول حيث قام بترقيته إلى رتبة "قبطان باشا" لدوره في إسقاط دولة الحفصيين بتونس بعد تواطؤ حكامها مع الأسبان. وكذلك لوفائه للدولة العلية ورفضه مختلف العروض والإغراءات التي تلقاها من الإمبراطور الاسباني "شارل كينت"، انظر سفيان صغيري، **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات 1671–1830**، (ر.م.غ.م)، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2012، ص89.

6 – عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق**، ص309.

حققه حسن أغا هو وقوفه في وجه الحملة الصليبية الكبيرة التي قادها شارلكان في 23 أكتوبر سنة 1541 وباءت بنكسة كبيرة[1].

وقد لعب حسن أغا دورا رئيسيا في تنظيم المقاومة واتخاذ التدابير اللازمة لحماية المدينة فاستدعى" أهل المدينة ونصب ديوانا عظيما جمع فيه علماء البلد و صلحاءهم ومشايخهم وجعل يسكنهم ويطيب نفوسهم[2] ويهّون عليهم أمر هذه العمارة"[3] واغتنم حسن أغا هذا الانجاز في بسط نفوذه بالجنوب الشرقي حتى بلغ منطقة الزيبان[4].

وتولى "حسن بن خير الدين" 1544 – 1552 الحكم ثلاثة مرات متتالية، وهو ما ينبئ بمقدرته الفائقة في تسيير شؤون الإيالة، ومعرفته بخصائص سكانها فضلا عن حنكته الحربية والإدارية. ففي المرة الأولى اعتنى بإصلاح عمران مدينة الجزائر، الذي أفسدته مختلف الحملات الاسبانية، كبناء المنارة المقابلة لمدينة الجسر أو ما يعرف ببرج الفنار أو برج مولاي الحسن، كما قام بتمهيد الطرق حول المدينة وساهم في دحر طموحات ملك المغرب مولاي محمد في الاستحواذ على تلمسان، ونصب مولاي الحسن الزياني ملكا على تلمسان تحت حماية الجزائر[5].

وفي المرة الثانية التي حكم فيها من 1557-1567 استحضر حسن بن خير الدين شيئا من سياسة أبيه وتجاربه، فعمل على إعادة الأمن والاستقرار للبلاد، وكسر شوكة الأسبان في موقعة "مازاغران"[6] الشهيرة لما حاولوا بسط نفوذهم على ضواحي وهران سنة 1561 فأسر العشرات منهم[7]، واتبع "حسن باشا" أسلوب المصاهرة مع الأسر النافذة بالإيالة فتزوج من ابنة ملك "كوكو"[8] واستعان بصهره الجديد في محاولة إخضاع الجهات المجاورة من بلاد القبائل كـ"فليسة" و"زواوة"[1].

---

1 – مولاي بلحميسي، "غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر 1541 بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية" ، في **مجلة الأصالة**، العدد 8 ، ماي وجوان 1972، ص.100.

2 – كان الجيش الإنكشاري قليلا بالمقارنة مع عدد أفراد جيش شارلكان فقد ضم جيش المسلمين نحو ثمانمائة جندي تركي وخمسة ألاف مقاتل من الأندلس وعدد أخر من الأهالي ونظرا لذلك اضطربت أحوال الأهالي وظنوا أن لا ملجأ من الحملة سوى الاستسلام. انظر: حكمت ياسين، "الغزو الاسباني للجزائر في القرن 16 أسبابه مراحله ونتائجه" في **مجلة الأصالة**، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973 ص251.

3– مولاي بلحميسي، "غارة شارل الخامس ..."، **المرجع السابق**، ص100.

4– توفيق المدني، **محمد عثمان باشا، المرجع السابق**، ص27.

5– توفيق المدني ، **محمد عثمان باشا، المرجع السابق** ، ص26.

6– خلدها الشعراء والأدباء المحليون في كثير من القصائد والأشعار الملحونة.

7– توفيق المدني، **المرجع نفسه**، ص28.

8– مملكة "كوكو" تقع بمنطقة القبائل يعود تاريخ تأسيسها إلى الفترة التي تلت حكم الدولة الزيانية وبداية ظهور الأخوين عروج وخير الدين (القرن 16)، ويعتقد أن أصل ملوكها من الأدارسة ملوك فاس وتلمسان، بعد سقوط الدولة الإدريسية، والجد الأكبر لهم هو عمار بن إدريس، وكانت العلاقات سيئة ومتوترة على ما يبدو بينها وبين السلطة العثمانية التي نصبت بالمنطقة حامية عسكرية قوامها نحو 8000 جندي ، انظر أحمد ساحلي ، **أعلام من زواوة – إقواون –** مطبعة الثورة الإفريقية، الجزائر، بدون سنة، ص 50.

وقد تعرض "حسن بن خير الدين" لثورة الانكشارية[2] التي تمردت عليه، ولا شك أن الانتصارات الكبيرة التي حققها "حسن باشا" لم تمر دون إثارة أحقاد المتربصين والمنافسين، خاصة مع شروعه في إحداث إصلاحات جذرية في الإدارة والجيش فأحاطت الدسائس بالرجل ليلقى عليه القبض ويحمل مكبلا إلى القسطنطينية، وتولى بعده ثلاثة حكام لم يصمدوا طويلا في الحكم أمام براءة "حسن باشا" الذي أعيد لمنصبه مجددا[3]. وعند عودته سنة 1562م حاول افتكاك مدينة وهران من يد الإسبان، فحاصرها برا وبحرا دون جدوى، فانكفأ على الاهتمام بتنظيم الشؤون الإدارية الداخلية للايالة فقسم البلاد إلى أربعة ولايات بايلك الشرق والغرب والتيطري ودار السلطان. ووقع في عهده احتلال الأسبان للمرسى الكبير مرة ثانية 1564. كما ساهم مع العثمانيين في حصار مالطة للسيطرة عليها لكنها استحالت عليهم لموقعها شديد المناعة، ولما بلغ منه الكبر والجهد مبلغه استدعاه السلطان في نهاية الأمر ليكافئه بوزارة البحر كأبيه من قبل والاستفادة من خبراته المكتسبة[4] .

ويمكن القول أن مدرسة جزائر غرب البحرية الميدانية، كانت كفؤة في تخريج الإطارات العسكرية التي استفادت منها الخلافة العثمانية5، في تقوية نفوذها واستخلاص تجارب عديدة لمقارعة العدوان المسيحي الاسباني الذي كان يمثل آنذاك القوة البحرية الأولى عالميا، وقد نوه بشجاعة ربابنها الرحالة المغربي "التيمغروطي" في كتابه

ونظرا لموقع الإمارة المنيع في قلب جبال جرجرة فقد كان الأتراك يتحاشون الدخول في مواجهة معها، انظر: Tahar Oussedik, **le royaume de Koukou** , E.N.A.L,Alger,1986,p22 ورغم ذلك فقد نشطت بها التجارة التي ربطتها بمختلف جهات البايلك، وكانت القوافل تغدو وتروح إليها خصوصا من ورجلان (ورقلة حاليا)، انظر: أبو زكرياء يحي بن أبو بكر، **سير الأئمة وأخبارهم (المعروف بتاريخ أبي زكرياء)** تحقيق إسماعيل العربي،(د.م.ج)، الجزائر، 1984، ص 127،

1 – شكلت المصاهرة أو الزواج السياسي كما يحلو للبعض تسميته أسلوبا متينا في إرساء قواعد الأمن والوحدة والاستقرار في مختلف جهات الإيالة في العهد العثماني، وقد لجأ إلى هذا الأسلوب الكثير من القادة والزعماء لتقوية نفوذهم ودرء الأخطار المحتملة وقد صاهر أحمد باي آخر بايات قسنطينة (1826/ 1837) بين العائلات الكبيرة وربط بينها خاصة قبائل فرجيوة وزواغة، وارتبط بإحدى بنات أسرة المقراني والمدعوة عيشوش بنت الحاج بن عبد السلام المقراني وكان تأثيرها على قرارات زوجها أحمد باي واضحا وجليا حينما أثنته عن إيقاع العقوبة، بأبيها حينما زج به في سجن القصبة بسبب خلافات عائلية. وارتبط أيضا بابنة بومزراق باي التيطري، كما تزوج من " خدوجة " أخت حمدان خوجة المثقف الجزائري المخضرم. وتزوج "عروج" من قبل من زوجة "سالم التومي" الذي كون قد توفي عنها، وتزوج الباي "مصطفى بوشلاغم" من عدة نساء صاهر بهن شيوخ النواحي الغربية وقوادها، وبفضل ذلك استمرّ في الحكم زهاء ثلاثين سنة كاملة. وتزوج "أحمد باي القلي" 1756 / 1771 من أسرة بوعكاز وبن قانة والمقراني، وزوج شقيقته إلى فرحات ابن أخ شيخ العرب "علي بوعكاز" وقد حذا حذوه خليفته "صالح باي" (1792/1771) وابنه "أحمد الشريف" في الزواج من أسرة بن قانة، وفي كثير من الأحيان ما تكون المصاهرة وسيلة لفتح صفحة جديدة في العلاقات بين السلطة والقبائل.

2 - de Grammont. ***op.cit***. 1887. P73.

3 – عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام المرجع السابق**، ص 340.

4– توفيق المدني، **محمد عثمان باشا، المرجع نفسه**، ص26.

5 – ممن نال أيضا شرف قيادة البحرية العثمانية "حسن ميزومورتو" باشا الجزائر السابق، فبعد انتهاء خدمته في الجزائر عُيّن في رتبة "قبطان باشا" وتمكن سنة 1695 من هزم "البنادقة" في موقعة "شيو" Chio، وبعدها بسنتين أصيب بطلق ناري في فخذه خلال معركة أندروس Andros جنوب اليونان، لكنه استمر في قيادة البحرية بكل عزم وجرأة، حتى وفاته انظر: De Grammont, **op.cit**, p 258

"النفحة المسكية" حيث ذكر أن إحدى الهدايا الثمينة التي أرسلتها الإيالة للسلطنة وقعت فريسة للصوص البحر في غياب القراصنة الجزائريين1..

ويعد "صالح ريس" (1552- 1556م) خير خليفة لجيل المؤسسين الأوائل، إذ جسد شخصية الحاكم القائد الذي سخر جهده في توطيد أركان الدولة والقضاء على الفتن، فواصل بسط نفوذ الإيالة حتى الجنوب وألحق "توقرت" بحكمه، وفرض إتاوة على حكام "فاس"، كما ضم "تلمسان" نهائيا لحكمه. واسترجع "بجاية" من يد الإسبان سنة 1554 بعد 35 سنة من الاحتلال، ولم يقض "صالح ريس" أجله إلا بداء الطاعون، الذي ضرب البلد بينما كان يستعد بجدّ لاسترداد وهران[2]، بعدما شرع في تحضير لوازم الحملة لاسترجاع المدينة عن عمر يناهز السبعين سنة[3].

وجاء بعده "العلج علي" (1568 – 1571م) الذي كان من قدماء الأسرى النصارى الذين أسلموا وساهم في إنقاذ بقايا المهجّرين الأندلسيين، كما شارك في حرب الصّليبيين إلى جانب العثمانيين في موقعة "ليبانت" الكبيرة سنة 1571م، التي تحطم فيها أسطول الخلافة العثمانية، وقد أبلى فيها العلج علي بلاء حسنا، ونظير ذلك استدعاه السلطان العثماني "سليم الثاني" وكلفه ببناء وتنظيم الأسطول العثماني من جديد[4].

وكان "علج علي" رجلا واعيا لدور الدولة العثمانية والأخطار المحدقة بها، لأنه جاء في عهد بدأت فيه ملامح الضعف تدب في أركانها، وقد حاول أن يمنح الدولة القوة من خلال إشراك إدارة الايالات الغربية تونس الجزائر ليبيا في المعركة، وقد أدرك مبكرا تحول منحنى القوة لغير صالح العثمانيين بعد معركة ليبانتي[5] المذكورة أعلاه..

ويمكن القول أن جيل المؤسسين الأوائل قد عرف هو الآخر بداية نهايته بعدها وانهزام القوى الإسلامية فيها، ويبقى التأكيد على القول بأن هؤلاء القادة كانوا "مهندسي" إنشاء دولة متميزة ومنظمة وواضعي بذرة كيان جغرافي وسياسي جديد اسمه "الجزائر" على حد تعبير المؤرخ والباحث الفرنسي المعاصر "روبرت مانتران".

ثانيا: حكام ضعاف النفوذ والتأثير.

شكل هذا الصنف معالم ضعف للإيالة وقد تميزوا بضعف الشخصية وقلة التأثير في مجريات الأحداث التي عاصروها وسوء التصرف إزاءها، وقد قصرت فترة حكم أغلبيتهم ومنهم من لم تتجاوز فترة حكمه اليوم الواحد.

كما اتسم بعض هؤلاء بكونهم علوجا دخلوا في الإسلام بعدما تم أسرهم، منهم حسان قورصو[1] 1556- 1557 ورمضان علج[2] الذي حكم في الفترة من 1574إلى 1577 ثم عين بايا على تونس في

---

1 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج02، المرجع السابق**، ص147.

2 – AL-Tilimsani, **op.cit.,** p 133.

3- توفيق المدني، **محمد عثمان. المرجع السابق** ، ص28.

4- توفيق المدني، **المرجع نفسه** ، ص30.

5- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث.. المرجع السابق** ص189.

1577، وحسين علج المدعو فينزيانو[3] 1577 – 1580 وجعفر علج[4] 1580- 1582 وحسن أغا نفسه كان من أصول كورسيكية وكذا قايد رمضان من جزيرة سردينيا وغيرهم.

وما يمكن ملاحظته في هذا المضمار هو تداول الحكام ذوي الأصول الأوروبية بعد دخولهم في الإسلام خلال الفترة الأولى من الحكم العثماني، بينما قل وجودهم في الفترات المتلاحقة وهو ما يمكن تفسيره بتراجع دور البحرية الجهادي القائم على الدفاع عن بلاد المسلمين، وضعف البريق الذين طالما كان مؤثرا في نفوس الأسرى الأوروبيين المحتجزين في عرض البحر[5].

ووقعت في هذه الفترة بعض الظواهر الطبيعية وتركت انطباعا غريبا عند السكان ممزوج بالحيرة والخوف، ولم يكن للفقهاء والعلماء دورا في توضيحها للعامة. ففي عهد محمد باشا وقع كسوف كلي للشمس سنة 1748 بمدينة الجزائر وخلق حالة من الهلع والفوضى، وتعالى الصياح والنواح في المدينة، وكان الناس يجرون مذعورين في الشوارع والطرقات.

ويشكل هذا الحدث صورة سيئة لعمق الدولة الهش، ويدعو إلى التساؤل عن مكانة وحضور النخب الدينية وتأثيرها في المجتمع والناس، وغياب التفسير العلمي للظاهرة بالرغم من ورود ذكرها في القرآن والسنة، وتلى ذلك سنة 1754 نزول كميات كبيرة من الثلوج والجليد على مدينة الجزائر رغم موقعها الساحلي ومناخها المعتدل، فحق فعلا تسمية عهد محمد باشا بعهد الظواهر الطبيعية الغريبة[6]، كما اهتزت المدينة على وقع الكثير

---

1 – **حسان قورصو** من المهتدين أصله من جزيرة كورسيكا الايطالية دشن ولايته بحصار وهران بحرا حتى ضاقت بالأسبان السبل فوجهوا ضغطهم في البحر المتوسط مما اضطر قورصو إلى الانسحاب من وهران نزولا عند طلب السلطان العثماني. وفي سنة **1557** عين جلبي على رأس الإيالة مكان قورصو، ولا نعلم سبب هذا التغيير، فهل كان "حسان قورصو" غير مؤدي لوظيفته على أحسن وجه فعزله السلطان، أم أن هناك أمورا أخرى؟؟ غير أن الأكيد أن حسان قورصو رفض الامتثال لأوامر التنحية فوقعت فتنة انتهت بمقتل "كردو جلبي" و"حسان قورصو".

2 – كان "**رمضان علج**" هو الآخر من المسيحيين المهتدين ساهم في حملة سنة 1575 لمناصرة "مولاي مالك" ضد "مولاي محمد" في المغرب الأقصى، ووقع في عهده أسر الشاعر الاسباني "سارفانتس" لما كان على سفينة اسبانية في البحر المتوسط، مكث في الأسر بالجزائر نحو 05 سنوات ثم عاد إلى اسبانيا حيث كتب قصته "دان كيشوت" الشهيرة سنة 1605 التي تدور أحداثها حول فارس إسباني أصيب بالجنون فتخيل نفسه يقاتل طاحونة هواء ظنا منه أنها فارس خصم، ومن خلال ملامح هذه القصة يبدو جليا تأثر "سارفانتاس" بالأدب العربي والحضارة الإسلامية. للمزيد من المطالعة في الموضوع انظر: عبد اللطيف الطيباوي، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص291،

3 – أصله من البندقية من مساهماته تحصين مدينة الجزائر وتهيئة دفاعاتها ضد الإسبان.

4 – **جعفر علج** 1580- 1582 أصله من المجر حاول تجديد مساعي بسط النفوذ على المغرب الأقصى لكن حكومة فاس احتجت لدى السلطان العثماني فحوله إلى حكم ولاية أخرى....

5– لقد كان إشهار إسلام أهل الذمة من يهود ونصارى ظاهرة شائعة في العهد العثماني في المشرق والمغرب الإسلاميين، ولم يكن إسلام الذميين قاصرا على طائفة دون أخرى، بل شمل اليهود المصريين والأجانب من النمسا وأزمير والنصارى الأرمن والنصارى الشوام والمصريين والايطاليين و الجنويين والصقليين، ويقر من يريد الدخول في الإسلام بوحدانية الله وبنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وينبذ غيره من الأديان طائعا مختارا أمام القاضي المسلم والشهود العدول، انظر: سلوى علي ميلاد، **وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها السياسية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص45. وكان الدخول في الإسلام يتم أمام القاضي وبحضور شهود عدل انظر الملحق رقم04.

6 - Al-Tilimsani **op.cit** 133.

من الزلازل التي خلفت آلافا من القتلى ودمارا كبيرا وخلفت كذلك مزيدا من الخرافات التي عششت داخل مخيلة الأهالي[1].

ولم تشفع بعض المنجزات الكبيرة لأصحابها عند السلطان وعند العامة، وهو الشأن بالنسبة لمحمد بكداش صاحب فتح وهران الأول الذي قضى بسبب تمرد الانكشارية عليه[2].

ثالثا: الحكام المتأخرون.

يرى الكثير من الدارسين أن أوضاع الجزائر خلال القرن 18م أصبحت أكثر استقرارا حيث انتعشت التجارة وحركة الهجرة والتبادل بين مختلف جهاتها، بعدما تمكن حكام الفترة من بناء شبكة طرقات لربط جهات الإيالة، والحرص على توفير الأمن والسلامة للسكان[3]، لكن الحالة العامة في البلاد أواخر عهد الدايات كانت مضطربة بسبب الضرائب والفساد الإداري وحركات التمرد المختلفة4، وصارت سياسة الحكام تقوم على إطلاق العنان للانكشارية فأكثروا في البلاد القتل والفساد، وصار همهم الحصول على الأموال التي تشبع رغباتهم وتؤمن لأشخاصهم حياة رغيدة5.

وقد برزت هذه السلبيات خاصة بعد وفاة الداي "محمد عثمان باشا" الذي ضرب مثالا في حسن السير في[6] الرعية، حيث بدأت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية تتعقد، وتلقي بظلالها على الواقع السياسي، فانتهجت الدولة سياسة اقتصادية جديدة لتعويض نقائص القرصنة، تقوم على تصدير المحاصيل الزراعية للخارج، وكانت عمليات التصدير تتم بواسطة الشركات الأوربية والمحتكرين اليهود من أسرة "بكري" و"بوشناق"، وتزامن هذا مع جملة من الهزات الاجتماعية كوقوع البلاد تحت تأثير المجاعات نتيجة القحط الذي أضر بالزراعة،

---

1 – تشير المصادر التي كتبت عن الزلازل والظواهر الطبيعية الغريبة إلى انتشار أساطير وخرافات تدور حول موضوع نشأة الكون وتسييره والظواهر المختلفة التي تعتريه، انظر: محمد غالم، "ظاهرة الزلزال في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية بين الذاكرة والتاريخ"، في **دورية إنسانيات**، الاليكترونية http://insaniyat.revues.org 9 mai 2013

2– احتفى الشعراء والفقهاء والأدباء والمهتمين بالتراجم والسير بالانجاز الكبير الذي طال انتظاره والمتمثل في فتح وهران الأول سنة 1707 على يد محمد بكداش منهم صاحب كتاب التحفة المرضية محمد بن ميمون الجزائر الذي ألفه بهذه المناسبة وجمع فيه نخبا من الأشعار والمدائح والذكر الطيب في حق محمد بكداش، لكن الداي بكداش لما أرسل مفاتيح مدينة وهران للباب العالي بعد فتحها، طلب من السلطان منحه قفطان الباشوية لصهره حسن أوزون، لكن الباب العالي رفض ذلك، وقام بكداش بالوقوف في وجه الداي الجديد المعين، لكن تمرده لم يدم طويلا، خاصة مع امتناع باي قسنطينة من تسليم دنوش سنة 1709 مما دفع بالانكشارية للثورة عليه وقتله رفقة صهره حسن أوزون. انظر: محمد بن ميمون، **المصدر السابق**، ص258 و

De Grammont.**Op.cit**. p274.

3 - ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، **المرجع السابق**، ص ص 446-459.

4 – زاهية قدورة، **المرجع السابق**، ص492.

5 - De Grammont, **op.cit.**, p414.

6 - كان محمد الكبير رمزا للاستقامة والتدين بعيدا عن الشبهات، لا يدخن ولا يشرب الخمر، فرض على التابعين له وخدامه في القصر نفس الشيء وقد نوه بخصاله الكثير من المؤرخين المعاصرين له مثل فونتور دوبارادي. انظر:

Latifa el hassar zeghari, **les Captifs d'Alger d'après la relation de Emanuel d'Aranda jadis esclave a Alger XVIIème siècle**, casbah éditions, Alger 2004, p197 .

والسياسية كثورات درقاوة 1805 والتيجانية سنة 1818م، والصراع مع حكام تونس[1] من 1806م إلى غاية 1817، فتناقصت المساحات المستغلة وتعقد النظام الجبائي وعجز على سد نفقات الدولة، وساءت الأحوال الصحية والمعاشية وانكمش الاقتصاد، بسبب انتشار الأوبئة الفتاكة كالطاعون والاضطرابات المناخية والجفاف والفيضانات، وغزو الجراد والزلازل والحرائق وغلاء الأسعار وشح الأقوات و إتلاف المزروعات[2].

وكان بإمكان حكام النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إدراك عوامل التفتت والضعف في الدولة والشروع في الإصلاح، سواء بالتنسيق مع الباب العالي أو بإشراك النخب المحلية العسكرية والدينية المختلفة واغتنامهم التحولات الدولية الحاصلة فيها، منها رياح التغيير التي بدأت تهب على الملكيات المطلقة في فرنسا، ثم في بقية دول أوروبا منذ بداية القرن التاسع عشر، لكن قوة الجمود والمحافظة على الأوضاع القديمة كانت بالنسبة لحكام هذه الفترة مصلحة عليا وقيم لا يجب التفريط فيها. يتقدمهم محمد بن عثمان باشا 1179-1765 الذي أطلق عليه "أحمد الشريف الزهار" نقيب أشراف الجزائر 1754- 1830 في مذكراته لقب المجاهد[3]، لأنه سخّر كل مقومات الدولة لجهاد الأوروبيين.

وفي عهده وقعت الحملة الاسبانية الكبيرة بزعامة "أوريلي" على مدينة الجزائر وشارك في صدها صالح باي حاكم الشرق، وكان له دورا بارزا في اندحارها[4] ويرجع الزهار ذلك في اعتقاده لعوامل غيبية تمثلت في نصر الله للجزائريين وتأييده لهم؟ حيث يقول " وحقيقة الإيمان كانت في ذلك الوقت لا زالت موجودة"[5]

كما قامت قبائل فليسة بالتمرد سنة 1181-1767 على النظام العام والسلطة، وكانت بهذه المنطقة كثير من الأعراف الجاهلية، كحرمان المرأة من الميراث ومنع الزكاة وغيرها، فأخضعها "محمد باشا" خلال ثلاث سنوات من الحرب الضروس، بعدما أعلن أفرادها التوبة عن هذه الأفعال، فجعل لهم محمد باشا شيوخا وعلماء يفقهونهم أمر دينهم[6].

وفي عهد مصطفى باشا وقعت أزمة سياسية بين الجزائر وفرنسا، حيث تم إلقاء القبض على قنصل فرنسا ووضعه في السجن بمدينة الجزائر. مما دفع بمسئول مهم في دولة فرنسا للمجيء للجزائر وعقد صلح معها ويتعلق الأمر بـ "دوبوا تانفيل" Dubois-Thainville وكيل الجمهورية الفرنسية[7]، كما وقعت في عهده حادثة

---

1 – كان **حمودة باشا** (ت1813) من بايات تونس الذين كانت لهم طموحات توسعية كبيرة تجسدت في محاولة بسط النفوذ على جربة والهجوم على قسنطينة. عبد الله العروي، **المرجع السابق**، ص483.

2 – انظر وصف أحوال بايلك الشرق ومختلف أزماتها من طرف الشاعر "بلقاسم الرحموني" في آخر هذا الفصل.

3– أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص23.

4– انظر دور صالح باي في صد الحملة الاسبانية في: محمد العنتري، **تاريخ قسنطينة المسمى فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاؤهم على أوطانها**، تح يحي بوعزيز، دار البصائر 2009ن ص 62 وما بعدها.

5– احمد الشريف الزهار، **المصدر السابق** ص27.

6– احمد الشريف الزهار، **المصدر نفسه**، ص28.

7 – جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790–1830** نشر متحف المجاهد، طباعة دار الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 179.

مقتل اليهودي بوشناق نفتالي رئيس الطائفة اليهودية الذي كان يلقى حماية من الداي مصطفى، فقام احمد خوجة احد الكتاب الأربعة الكبار في الحكومة والذي عزل من طرف مصطفى باشا بتحريض مجموعة من الجند فوثبوا على مصطفى باشا وقتلوه فانتقم احمد خوجة لعزله وجلس على كرسي الحكم لفترة قصيرة[1].

ويندرج ضمن هذا الصنف من الحكام الداي عمر، الذي تولى بعد مقتل علي باشا، وحينما تولى شرع في محو آثار ومخلفات أعمال سلفه السيئة، حتى لا تنقلب عليه الأمور فقرر إبعاد الانكشارية عن التدخل في الشؤون السياسية تأسيا بحمودة باشا التونسي، وعوّل كثيرا على الفقهاء لرأب الهوة التي كانت بين السلطة التركية والجزائريين خاصة صهره مفتي الجزائر الشيخ مالك[2].

ويوصف الداي "عمر" بأنه كان رجلا عاقلا وحكيما، أخلص لأهل الجزائر فأحبه الصغير والكبير، وكان يحب الإعمار والزخرفة، لكن تزامن اعتلاءه منصب الداي مع وقوع وباء كبير في المدينة أزهق عشرات المئات من الأرواح تلاه غزو الجراد وفي 1230-1815 فتشاءم الناس منه[3].

وساهم الداي عمر في عودة الفرنسيين للاستثمار في ميناء القالة مقابل إتاوة سنوية تبلغ 200.000 فرنك وفي أفريل 1816 قام اللورد الانكليزي إكسماوث بحملته على مدينة الجزائر التي صُدّت ثم تجددت الحملة في أوت 1816، متزامنة مع حملة الأميرال الهولندي "فان دار كابيلن" Van-der-Capelins [4]. ووقع اتفاقية مع الأمريكيين بوساطة القنصل الأمريكي وليام شالر[5].

ويبدو أن الداي عمر كان مهزوما ماديا ونفسيا، فقد اعترف بالهزيمة ووقّع معاهدة التنازل للورد إكسماوث دون شروط، فأطلق سراح الأسرى وامتنع عن المطالبة بأي تعويضات جراء قصف مدينة الجزائر والميناء، وأقصى ما قدر عليه الرجل أن كتب في آخر رسالته للورد " فإن شروطهم قد قبلت فليذهبوا إلى الجحيم" [6].

وجدد الداي عمر باشا 1815-1816 نفس الطلب من الباب العالي والذي التمسه خليفته من قبل ويتجلى ذلك في إعادة بعث الارتباط بمركز الخلافة التركية للمحافظة على الاستقرار الداخلي واستتباب الأمن[7] ،

---

1 - جمال قنان، **المرجع نفسه**، ص 180.

2- عزيز سامح اليتر، **المرجع السابق** ، ص613.

3- **المرجع نفسه**، ص612.

4- **المرجع نفسه**، ص612.

5- عزيز سامح اليتر، **المرجع السابق**، ص612.

6 - **المرجع نفسه**، ص612.

7 - جاء في إحدى الرسائل:" منذ استلامي مقاليد الحكم وأنا ساهر على حماية البلد كان الواجب يحتم علينا رفع الطاعة والولاء لكم والدفاع عن البلاد يجاهدنا وحماية الفقراء والضعفاء وحل المشاكل المعلقة على الدولة إن عبدكم لصارف نهاره وليله إلى أداء مثل هذه الواجبات" انظر محمد شاطو، "السلطة العثمانية وعلاقتها بالطرق الصوفية" في **مجلة المواقف**، العدد03، جامعة معسكر، 2008، ص 164.

وهو ما ينبئ باتساع رقعة العصيان الشعبي وخروج نطاقات كثيرة عن الطاعة والولاء وتفكك بنيان الدولة، وبداية حدوث الوحشة والقطيعة بين الرعية والأتراك[1].

وقد أحس الأوروبيون بهذا التحول في استراتيجيات الإيالة، فقد وصف القنصل ديفال عمر باشا بقوله:" كان يتمتع بشخصية هادئة ومفكرة، كان عنيفا2 غير أنه كان عادلا نجح في تحويل وربط الناس جميعا بمركز السلطة باسطنبول، وكان على تفاهم كبير معها"[3]

وفي 15 ماي 1816 أعلن "اللورد اكس ماوث" للداي عمر اتفاق دول أوروبا على إنهاء القرصنة[4]، لكن الداي "عمر" رفض التسليم بهذا الأمر معتبرا العملية مؤامرة من طرف المسيحيين ضد المسلمين، للتخلي عن عمل شرعه العرف والدين وأنهى المقابلة معه بسرعة، وتعرض الوفد الوزاري للاهانة خارج مقر الداي من طرف الأهالي[5]، كما تعرضت أملاك الأوروبيين في بالك الشرق للسطو بتوجيه من الباي مما حذا بالقنصل الأمريكي إلى قصف مدينة الجزائر.

ثم تولى الحكم الداي "علي باشا" الذي وُصف بأنه كان "عبوسا وشريرا مدمنا على الأفيون يتلذذ بالتعذيب وأشكال القتل رغم أنه كان مثقفا يحب القراءة والمطالعة[6]" فكيف اجتمعت هاتين الصفتين في شخص علي باشا يا ترى؟، استبد الداي علي باشا بالحكم وصار يشرع القوانين على هواه، ففي فترة القحط التي مرت بها الإيالة، أصدر مرسوما يمنع بموجبه بيع القمح خارج البلاد حفاظا على وفرته في الأسواق المحلية، لكن هذا أدى إلى ممارسة تجارته سرا، كما أصدر مرسوما آخر يقضي برمي النساء الزانيات في البحر، لينتهين عن فعل هذا الجُرم، لكن مؤسسات الدولة كالديوان والقضاء مارست ضغوطا كبيرة عليه للعدول عنه، وتعويضه بنفيهن إلى إقليم شرشال[7]، وكان الداي "علي" غير كفء في إدارة البلاد من خلال ما وصفه به "فونتور دو بارادي" Venture

---

1 – محمد شاطو، **المرجع نفسه**، ص 164.

2 – وصف الزهار في مذكراته فترة حكم عمر باشا بقوله أن أيامه كلها كانت مصائب ومشاكل: الجراد الغلاء، كثرة الموت، هجوم الإنكليز، وكان سفاكا للدماء. انظر: أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 127.

3– عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي**، **المرجع السابق** ص237.

4 – كان هذا بعد انعقاد مؤتمر فيينا في الفترة من سبتمبر 1814 إلى جوان 1914 حيث وضعت دول أوروبا رؤية جديدة لفترة لفرنسا ما بعد نابليون بونابرت، وكان من المسائل التي ناقشها المؤتمر وضع حد للقرصنة في البحر المتوسط. ..من أبرز البنود التي فرضت على الداي:

أولا منع وتحريم ممارسة القرصنة.

ثانيا تحرير كل العبيد المسيحيين في مدينة الجزائر والمقدر عددهم بنحو 1200 جلهم إسبان وإيطاليون.

ثالثا دفع ضريبة تعويضية تقدر بنحو 500.000 فرنك.

لكن وبغض النظر على مقررات مؤتمري "فيينا" و"إكس لاشابيل"، تركت الحرية للداي للاستمرار في القرصنة ضد الدول الصغيرة، لكن بشرط عدم اعتبار المأسورين من المسيحيين "عبيدا" ولكن اعتبارهم "أسرى حرب"، انظر H.-D. De Grammont. **Opcit**. P316.

5 - de Grammont. **ibid**. P316.

6– سامح اليتر ، **المرجع السابق** ص595.

7– **المرجع نفسه**، ص615..

de Paradis حيث ذكر بأنه كان فاسدا مرتشيا مبذرا للأموال، وقال عنه " :"أنه أنفق كل أموال الخزينة على رفاهية أولاده وزوجته"[1].

وعمل علي باشا على فرض التدين على الناس بالقوة فمنع الخمور وعاقب أصحابها وأمر الناس بالصلاة مع الجماعة ونادى مناديه في الأسواق والباحات العامة :" أنه من بقي بدكانه بعد الآذان فلا يلومن إلا نفسه"2، كما كان شديد الفتك بخصومه وموظفيه الذين يتوجس منهم فزرع بينهم وفي ثكناتهم المخبرين والوشاة فانعدم الأمن وزالت الثقة في الباشا ومحيطه، حتى أنه كان لا ينزع سلاحه أبدا3.

وثارت عليه الإنكشارية بسبب انقطاع رواتبهم، فقضى على أغلب الناقمين سنة 1817 م، ثم نقل الخزينة إلى القصبة بمساعدة القبائل و الكراغلة[4]

وقد رفع عنه "محمد خسرو" وزير الحربية العثمانية تقريرا سلبيا للسلطان "محمود الثاني" وصفه بالتهور والظلم خاصة مع المسيحيين بحيث حول كل الصداقات السابقة بين الإيالة والدول الأجنبية إلى منازعات ومهاجمات[5]. وقد اغتيل الحاج علي في حمامه وكان وزيره "عبد الله" أحد المنفذين للعملية ما ينبئ عن تذمر الجميع من سياسته السيئة[6].

وفي 1818 تولى الإيالة الداي حسين 1233-1818 الذي حكم في ظل تحولات عالمية ومحلية كبيرة، منها التقارب الأوروبي بشأن الكثير من القضايا الدولية كالتجارة العالمية وممارسة القرصنة وتجارة العبيد، وقد كان من الممكن أن يلعب الداي حسين في ظل ذلك أدوارا تؤهله للانخراط في السياسة العالمية، لقد أضاع الداي حسين آخر الفرص الثمينة التي كان بإمكانه اغتنامها، لتغيير شؤون الإيالة وتجنيبها كارثة 1830.

لكن أقل ما يمكن قوله أن الرجل جاء في ظل ظروف صعبة، ومحيط غير قابل للتجديد، أو إعادة التفكير في المعطيات الدولية، وبين نُخب لا تفكر في التحديث والتجديد بل تعتبر ذلك منافيا للدين، مما حذا بالنظام السياسي إلى الوقوع في كثير من الأخطاء الجسيمة التي أطلقت العد التنازلي لزوال إيالة الجزائر. ويؤكد بعض هذا المعنى ما ذهب إليه "سيمون بفايفر" بقوله أن "الداي حسين" رفض الأخذ بالتجديد والتطوير في دولته، لأن ذلك في اعتقاده يعد "تقليدا للكفار"، بعدما رفض طلبا من السلطان العثماني يأمره فيه بتجهيز الجيش على الطريقة

---

1 - venture de Paradis, **Op.cit** ,p101.

2 - الزهار، **المصدر السابق**، ص137.

3 - **المصدر نفسه**. ص136.

4 - Ghalem, Mohamed, **"L'histoire de l'Algérie des origines à 1830"** in Algérie, 2000.p29.

5- التميمي، **بحوث ووثائق .. المرجع السابق**، ص234.

6- **المرجع نفسه**، ص236.

الأوروبية1، وقال للرسول :"إن احترامه لقوانين آبائه وأجداده وتقاليدهم أكبر من أن يسمح له بتقليد تجديدات الكفار"[2].

وإن صح هذا الخبر فإن الداي حسين يمثل حلقة ضعف وفشل وركود، في أعلى هرم الدولة ويكون قد ساهم بصورة كبيرة في ما آلت إليها إيالة الجزائر سنة 1830، وجسّد نمط النظام السياسي المنغلق على ذاته، الرافض للابتكار والأخذ بأسباب التطور في شتى المجالات، خاصة في الميدان العسكري الذي يشكل رأس الحربة في أي نظام سياسي.

ورافقت فترة حكمه جملة من الأزمات المحلية والدولية، فقد تجدد النزاع مع تونس سنة1820، واشتعلت الحرب بينهما، ووقعت مدينة البليدة تحت زلزال كبير كاد يبتلع المدينة، وتم اغتيال أغا العرب "يحي أغا" في 1825م، ووقع نهب العديد من منازل البعثات القنصلية بعنابة[3].

وفي 1820م تم توقيع معاهدة بين الإيالة وفرنسا بوساطة القنصل الفرنسي "دوفال"، كما تم في سنة 1822م توقيع معاهدة صلح مع جمهورية "توسكانيا" الايطالية بوساطة القنصل البريطاني "سير ماك دونالد"، وكان القصد منها امتصاص الغضب الدولي بسبب اضطراب الأوضاع في البحر المتوسط واستمرار النشاط القرصني بعيدا عن الرقابة، وفي سنة 1827 بدأت الأزمة السياسية مع فرنسا والتي أساء الداي حسين معالجتها وانتهت باحتلال الإيالة واجتثاث النظام السياسي التركي في الجزائر من جذوره.

وإذا وُجه إليه لَوْم ففي شكل تسيير الحكومة، وأنه لم يستعمل جميع وسائله الممكنة لمنع الحرب بين الجزائر وفرنسا[4]، إذ لم تكن معركة الجزائر الأخيرة التي خاضها الداي حسين ضد قوات الاحتلال الفرنسي منظمة جيدا، والجيش المقاوم لم يكن كل أفراده يتقاسمون فكرة واحدة وهما مشتركا5، وفضلا عن ذلك لم تكن الظروف المحلية في صالحه، أمام الصمت المبهم لبايات تونس، وعجز ملوك المغرب على تقديم يد المساعدة عسكريا، وعزم باشا

---

1 – شرع السلطان سليم الثالث في تجديد الدولة العثمانية أوائل القرن التاسع عشر ببناء مدرسة عسكرية حديثة على النمط الأوروبي، وكلية للهندسة لتدريب الجيش الانكشاري، لكن النخب العسكرية المحافظة رفضت هذا التجديد وتمادى الجيش الانكشاري في رفض الإصلاحات وأعلن العصيان على السلطان، فما كان من السلطان إلا أن قضى عليه بعدما صار عبئا على الدولة. انظر ،عبد الحميد أبو سليمان، "الحياة الفكرية في الولايات العربية في العهد العثماني" في **المجلة التاريخية المغربية** العدد 57-58 ص 45-54.

2– سيمون بفايفر، **مذكرات سيمون بفايفر أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تر أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت.) الجزائر، 1974، ص 45.

3 – حمدان خوجة ، **المصدر السابق**، ص74.

4 – ويذكره "حمدان خوجة" بصفات حسنة فيقول:"وينتمي هذا الرجل الأمين الصدوق إلى عائلة نبيلة ويتمتع بمعارف واسعة وقد خدم ايالة الجزائر أكثر من ثلاثين سنة ثم يقول لكن الحظ خانه بسبب الخطأ الذي ارتكبه أعضاء حاشيته وجنوده إذ كان منهم من لا أخلاق لهم ولا خبرة ولا شجاعة"، عبد الحميد زوزو، **المرجع السابق**، ص41.

5 – الهادي الحسني، **الاحتلال الفرنسي من خلال نصوص معاصرة**، نشر دار عالم الأفكار، الجزائر، 2006، ص ص 71-75.

طرابلس "يوسف بن علي باشا قرمنلي" على إمداد الداي حسين بمزيد من الصلوات والأدعية في المساجد والصلوات[1].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن جل حكام المركز الذين تولوا حكم الجزائر في العهد العثماني، كانوا قد تولوا في ظروف خاصة كالانقلابات والاغتيالات والثورات وحركات التمرد، ولم تتشكل نواة نظام سياسي يتسم بالاستقرار والاستمرارية. وشملت معظم أعمال ومنجزات هؤلاء الحكام مع مرور الزمن الأعمال العسكرية والدفاعية المرتبطة بأجواء انعدام الاستقرار بحكم تواصل المعركة بين ضفتي البحر المتوسط، تلك المعركة التي كان في مخيلة كل طرف منها القضاء على الطرف الثاني أو إضعافه، فاستبعدت الحلول القائمة على التفاهم وحسن الجوار. وبالتالي فقد نالت الثقافة والدين واللغة والفقه خلال هذه الفترة حظا وافرا من التهميش والنسيان في خضم السباق نحو الهيمنة وعسكرة المحيط الاجتماعي والسياسي والثقافي.

كما كانت أعمال القتل للباشوات سمة بارزة، بسبب التأخر عن دفع الأجور للجند والمنح والأعطيات، وهو ما حدث للداي مصطفى سنة 1705م حيث وثبت عليه الحامية التركية بمدينة القل وفتكت به، عندما كان في طريق عودته من حملته على تونس[2]، ونال "محمد بكداش" نفس المصير وغيرهما، مما ينم عن وجود مؤسسة عسكرية غير محترفة، وغير نابعة من رحم الأزمة أو مرتبطة بأمن الأمة، ومتفهمة لدورها الإقليمي.

02-03 حكام الأطراف.

كان البايات في إيالاتهم يمثلون صورة مصغرة لحكام المركز في أعمالهم سواء الحسنة أو السيئة، وكانت مجالس البايات لا تخلو من مناقشات بين العلماء، وقد يشارك فيها البايات أنفسهم، لكن بعضهم الآخر كان شحيحا على العلم وعمل على ضموره وقلة الاعتناء به واختفاء طبقة الفحول من الفقهاء شيئا فشيئا، وصار العلم يدرّس في بعض الأوقات دون غيرها، لأن ولاّتها لم يهتموا ببناء المدارس والإنفاق عليها ولا بتكثير الأوقاف، لسد حاجة الطلبة والمعلمين، وقد لوحظ أن العلوم المدرسة لا تتعدى الفقه وأصول الكلام، ولم تكن تتوفر للمتعلمين دار الإقامة لهم مما شجع الكثير منهم على الهجرة نحو تونس ومصر والحجاز[3].

أولا: بايات الشرق.

يعد بايلك الشرق أكبر البايلكات من حيث الامتداد الجغرافي وحجم الثروات وعدد السكان، تداول على حكمه قرابة الأربعين بايا منهم ولاة أقوياء وآخرين ضعاف، وكان مقر إدارة البايلك منذ تأسيس الحكم التركي به في مدينة قسنطينة، التي طالما تغنى بها الشعراء والأدباء والرحالة، وكان سكانها رغم الخليط القبلي المهمين

1- طلب الداي حسين معونة سنة 1245 من باشا ليبيا فكان جواب "القرمنلي" سلبي جدا ومما جاء في الرد:" ونحن ما لنا قدرة نمدوكم بها إلا صالح الدعوات والصلوات في المساجد وفي كل الأوقات"؟ انظر: عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق المرجع السابق**، ص 46.

2 - Ernest Mercier, **Histoire de Constantine**, Marle et F.Biron imprimeur éditeur , 1903 , p243.

3 - مختار فيلالي الطاهر، **المرجع السابق**، ص ص. 161- 171.

عليها من الضواحي يمتازون عن غيرهم من سكان الحواضر الأخرى بالحرص على طلب العلم والفقه وحفظ تاريخ المدينة وتبليغه للأجيال اللاحقة[1].

ويرجح أن العصر الذهبي لهذا البايلك والذي شهد نوعا من القوة والاستقرار يمتد من 1713 إلى 1792، حكم خلاله خمسة بايات لمدة 79 سنة أي بمعدل 15.8 سنة وتميز باستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهؤلاء البايات هم "قليان حسين باي" المدعو "بو كمية" (1713/ 1736) "حسن باي" بن حسين بوحنك (1736/ 1754) "أحمد باي القلي " (1756/ 1771) "صالح باي" بن مصطفى الزميرلي (1771/ 1792) وكان أغلب بايات قسنطينة يربطون علاقات طيبة مع القبائل المجاورة للمدينة ليتقوا بها نوائب الدهر وتقلبات الزمن ولمؤازرتهم في الملمات[2].

وكرر الباي "أحمد القلي"[3] الحملة ضد قبائل "زواوة" لتأديبها وتوجيها بعدما أعلنت التمرد عن السلطة الشرعية، وسعت لمخالفة نصوص الشريعة بعدما أقرت حرمان المرأة من الميراث، بل اعتبرت كيانا مملوكا لغيره4 ولم يستطع الباي تثمين هذه الحملة وإنهاء تمرد زواوة بسبب وعورة التضاريس، ويذكر أن الرحالة الورتلاني هو من نبّه الباي أحمد القلي إلى مثل هذه التجاوزات والمخالفات الشرعية التي يقترفها سكان المنطقة ، فشن هذه الحملة استجابة لداعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

وكان "صالح باي" الذي أوصى به "أحمد القلي" لخلافته على رأس البايلك أفضل بايات قسنطينة على الإطلاق[6]، وفق ما ذهب إليه جل المؤرخين، عاصر فترة حكم "محمد الكبير" باي وهران، وكان شغوفا بالعلم ومحبا للعلماء ومجالستهم، يتحرى بدقة المسائل الفقهية، ففي مراسلاته للأجانب كان يتحرى استعمال المصطلحات الشرعية الواجب استعمالها من طرف المؤمن المتبع لهدي السنة النبوية، فحين يخاطب متصرف

---

1 - Le Roy. **État général et particulier du royaume et de la ville d'Alger, de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer** .. 1750 p42.

2 - Jean-Pierre Bonnafont, **Réflexions sur l'Algérie,** particulièrement sur la province de Constantine : sur l'origine de cette ville et les beys qui y ont régné depuis l'an de l'égire 1133 (1710) jusqu'en 1253 (1837) /. 1846

3 – ينسب أحمد القلي لمدينة **القل** وهي مدينة كبيرة بناها الرومان عند قدم جبل شاهق كان اسمها القديم "شلو" احتلها الوندال فيما بعد وحطموها، ثم وفد إليها المسلمون زمن الفتح، وهي مدينة "متحضرة مليئة بالصناع وأهلها ظرفاء كرماء وأرضهم كثيرة العطاء"، انظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 54. وقد قاد فيها أحمد القلي الحامية التركية قبل أن يصير بايا على مدينة قسنطينة.

4 – **زواج الميراث** زواج معروف لدى المجتمعات الريفية ويرتكز هذا الزواج على أساس أن المرأة التي يموت زوجها عنها تصير زوجة لأقرب الناس إليه خصوصا أحد أخوته، و لكنه إن لم يشأ ذلك زوجها لغيره مقابل الحصول على مهرها، و إلا خلى سبيلها وتركها لتتزوج بمن تشاء على شرط أن تتنازل عن كل ما ورثته عن زوجها المتوفى. انظر: عبد المالك بكاي، "الأسرة الريفية في المغرب الأوسط من القرن *7-10*هـ 13-16/م" في **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد 17، جامعة سطيف، سبتمبر 2013، ص ص 82-64. (العدد محمل من موقع http://revues.univ-setif2.dz/index.php?id=749).

5 - E.Vayssettes , **op.cit** , p.*227*.

6 – يشكل صالح باي في الذاكرة الجماعية للسكان رمز القوة والمحبة والصلاح والاهتمام بالرعية التي قلما تجتمع عند حاكم ولذلك ما تزال مرثيته محل تغني من الكبير والصغير.

"الباستيون" بمدينة القالة في مراسلاته كان يستهلها بتحية أهل الكتاب بقوله "السلام على من اتبع الهدى"[1]، ولم نجد خلال بحثنا هذا في مراسلات بايات الشرق مع الفرنسيين والأوروبيين من استعمل مثل هذه التحية غيره.

كما كان يعبر "صالح باي" حاكم ولاية الشرق من خلالها على سيادة الدولة وتبعية جميع الموظفين عربا كانوا أو أتراكا أو أوروبيين للدولة، ما دام الجميع يعملون ضمن اتفاقيات وشروط مضبوطة، وكثيرا ما كانت تتكرر في مراسلته عبارة "خديمنا"، التي تحمل الكثير من المعاني والدلالات2..

وممن اشتهر في عهده من الفقهاء الشيخ "عبد القادر الراشدي"، الذي جاء ذكره في تعريف الخلف للحفناوي بقوله "عبد القادر الراشدي العلامة المحقق المجتهد[3] ...له تعليقات وفتاوي ومسائل ابتكارية جليلة وتفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي"[4].

بعده دخل بايلك الشرق في مرحلة الضعف والاضطرابات استمرت من 1792 إلى 1826[5]، تميزت أوضاع البايلك خلالها عموما بالضعف والاضطرابات واندلا ع الثورات وانعدام الأمن[6] في كثير من ربوعها. وحكم خلالها نحو عشرين بايا تداولوا في فترة لا تزيد عن 34 سنة بمعدل 1.7 سنة للحاكم الواحد[7].

ومن جهة أخرى فإن خمسة وعشرين بايا الأخيرين الذين حكموا البايلك مات ثلاثة منهم فقط ميتة طبيعية، وأربعة منهم عزلوا عن الوظيفة، وثمانية عشر منهم ماتوا قتلا[8]، وهكذا فنسبة 72 بالمائة من البايات الأخيرين غادروا قصر الحكم محمولين على الأنعاش.

وأشار بعض الرحالة والمؤرخين منهم الرحالة المغربي الشريف الزياني إلى ضعف تدينهم، فقد نظم أحدهم حفل استقبال على شرفه، لما كان مارا بمدينة قسنطينة، وأثناء الجلسة كان هذا الباي يدخل مقصورة قربه لوقت قليل ثم يخرج منها، فتنبعث منه رائحة الخمر[9] كما يضيف الزياني، مما يدل على فساد أخلاقه وعدم صبره على مفارقة الخمر لحظة واحدة.

---

1 – يوجد بأرشيف المكتبة الوطنية بالعاصمة عدة رسائل بعث بها صالح باي تتضمن هذه المعاني ومنها النسخ المخطوطة في قسم الملاحق رقم 08 (ثلاثة نسخ لرسائل صالح باي).

2 – انظر نفس النماذج في نفس الملحق السابق رقم 08.

3 – عبد القادر الراشدي، **تحفة الإخوان في تحريم الدخان**، دراسة وتحقيق عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

4– أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت، 1985، ص228.

5 – Leila Babès ,. **Pouvoir central, Pouvoir local dans le Beylik de Constantine** , Essaie de synthèse , univ de Constantine , 1988, p5

6 – شويتيام أرزقي، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800 / 1830**، جامعة الإسكندرية، 1988، ص 23

7 – Babès Leila,. **Op.cit** , p5

8- Jean-Pierre Bonnafont**, op.cit**., 46.

9 – ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999، ص483.

ويختلف المؤرخون في شخص آخر بايات الشرق، أحمد باي أحمد الكرغلي 1826/ 1837، الذي فشل في تحويل ميراث الإيالة إلى شخصه، بعد سقوط الجزائر في 1830، برغم كل وسائل الاستعطاف، والوساطات التي استخدمها عند زعماء الباب العالي[1].

وبالرغم من نجاحه في ضم النخب الدينية من فقهاء ومفتين لمؤازرته في مشروع المقاومة، كما يشهد على ذلك بيان "أحمد باي" والفقهاء في مدينة قسنطينة2 إلى عامة الناس يخبرونهم فيه بالتدابير الجديدة المتخذة لرفع الظلم والتجاوزات عن الرعية، والموقع سنة 1246هـ 1830م[3]، ولئن نجح في مد روح المقاومة في الشرق حتى سنة 1848م إلا أنه فقد كل شيء بعد ذلك.

ثانيا: بايات التيطري.

كان بايلك التيطري يمثل أصغر البايلكات وأقلها مساحة وموارد اقتصادية، وكذلك من حيث التأثير في مجريات الإيالة سياسيا وفكريا ودينيا، وكان "رجب باي" 1548 - 1568 أول باي تولى شؤون التيطري، عين من قبل "حسان باشا" داي الجزائر، وتكاد تكون المعلومات شحيحة عن البايات الذين تولوا بعده ما عدا ذكر المؤرخين ليحي باي الذي حكم في الفترة من 1575- 1568 ثم رمضان باي 1575.

وفي 1770 تولى حكم بايلك التيطري الباي "محمد فريرة" الذي صاهر سلطان المغرب "مولاي يزيد" حينما تزوج من أخته "اللا عيشوش"، حكم بعده "صفرة باي" سنة 1772م الذي قتل أثناء معارك مع "أولاد نايل" حينما رفضوا دفع الجباية، وبعد ولاية "مصطفى الوزناجي" بن سليمان 1794 1775م ثم " محمد الذباحبن فريرة"4 1799- 1794م، الذي تذكر المصادر أنه درس بزاوية "تيزي راشد" ببجاية[5]. ولما صار على راس البايلك اتسم حكمه بالاضطراب وقُتل في إحدى المعارك المحلية في التيطري سنة 1799م.

---

1 – عبد الجليل التميمي، " الحاج أحمد باي وبايلك قسنطينة 1830/ 1837"، في **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد 64 ، 1978 ، ص 21 .

2 – جاء في وثيقة مبايعة احمد باي "ليعلم الواقف على هذا المكتوب الأعظم والمنشور المبارك الأفخم الجالب للخير والسرور المضاعف بحول الله وقوته للبركة والحبور، وبه تكون إن شاء الله عافية البلاد وهناء العباد، وعمارة الوطن، وذهاب البؤس والمحن وهو أن الأمير المتفق على إمارته، والنظر في كافة المصالح وعامة المطالب والمآرب، وهو السيد الحاج أحمد باي المذكور لا خلاف عنه أحد في ذلك وأنه حرر الرعية من كافة المظالم السابقة لا يطالبون بمغرم، ولا محتمة، ولا حلاس ..و لا يأخذ منهم شيئا سوى الزكاة و العشر بوجه ما أحكم الشرع " انظر: محمد الصالح العنتري، **فريدة المنيسة** ، **المصدر السابق**، ص137.

3 – وكان ممن وقع البيان شيخ البلد "محمد الفكون" والقاضي الحنفي "مصطفى بن باش تارزي" والقاضي المالكي "أحمد العباسي" والمفتي الحنفي "الشيخ مصطفى" والمفتي المالكي "الشيخ بن عمار" وناظر الأوقاف "محمد العربي بن عيسى" والخليفة مصطفى وقائد الدار "الحاج محمد بن البجاوي" وغيرهم، انظر: عبد الرحمن الجيلالي، **المرجع السابق**، ص ص 464-465.

4 – نال هذا اللقب نظرا للمذابح التي ارتكبها سنة 1744 قبل توليه كرسي البايلك، انظر:

GUIN. "Note sur le Bey Mohamed dit el Debbah" **in RA** année 1863 p p 293-298

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، **المرجع السابق**، ص265 .

ويذكر المؤرخون شخصية "إبراهيم التلمساني" 1801 -1799 الذي غزا قبائل أولاد نايل مجددا، واشتهر ببناء الجامع الأحمر بالمدية، وفي سنة 1809 تولى الحاج "علي مصطفى بومرزاق"[1] آخر بايات التيطري الحكم، واستمر في السلطة حتى سنة 1830 وكان له فضل كبير في رد هجمات الفرنسيين إلى الساحل، لكنه استسلم في نهاية الأمر بعدما فقد السلاح والمعين ونفي إلى الإسكندرية أين توفي بها.

ثالثا: بايات الغرب.

بالرغم من تاريخه وأسبقيته في التفاعل مع قضايا البحر الأبيض المتوسط، فقد ظل بايلك الغرب غامضا خاصة خلال القرن السادس والسابع عشر، ويمكن إرجاع سبب ذلك للاحتلال المبكر الذي تعرضت له جهات كثيرة من المنطقة، وعجز العاصمة التاريخية لبني زيان "تلمسان" من أن تكون نواة لعاصمة المنطقة وتتبوأ الصدارة، ولذلك لم يذكر المؤرخون إلا عددا قليلا من بايات الغرب نظرا لاضطراب أحوال البايلك2، وتعرضه للاحتلال مرتين ووقوعه في خط المواجهة الأول مع الإسبان، وعدم استقرار عاصمته، فقد تنقلت عاصمة البايلك بين وهران ومستغانم ومازونة ومعسكر[3]، واهتز تحت وقع الثورات الدينية والطرقية التي قامت بها درقاوة والتيجانيون مرارا.

وأول باي تولى إدارة المنطقة هو "شعبان الزناقي" الذي قاد أول حملة لتحرير "وهران" انطلاقا من مدينة "مازونة" في سنة 1090هـ 1678م ومات خلال حصارها، وقد قام المولى "إسماعيل" ملك المغرب بحملة عسكرية على مدينة وهران للانتقام له سنة 1692م دون جدوى[4].

وعدّد "مسلم بن عبد القادر" إجمالي البايات بنحو 26 بايا آخرهم الباي "حسن بن موسى" الذي يسمى عند العامة "حسان الباهي"[5]، وتباين أداء حكام البايلك مع الحراك الديني والسياسي والعلمي، فكان منهم من عمل على تشجيع العلم والثقافة وبرزوا بأعمالهم الجليلة.

ويرى "هنري ليونفي" Henri-Léonfey أن أول بايات وهران هو الباي "بوخديجة" الذي كانت عاصمته مازونة سنة 1563[6]، ثم حكم بعده الباي "سواق" الذي سممته زوجته فجاء بعده "السايح باي"[1] الذي

---

1 – تولى "حسن باي" سنة 1801، ثم "محمد باي" سنة 1809، الذي خنق بأمر من "بومرزاق" آخر بايات التيطري.

2 – تراجع لمزيد من الاطلاع مذكرة: كمال بن صحراوي، **الأوضاع العامة في ريف بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر،.2014 .

3 – ساهم الأتراك كثيرا في جعل مدينة معسكر تتبوأ الصدارة في بايلك الغرب بعد سقوط وهران وتعرض مستغانم للقصف والضغوط الكبيرة حيث اتخذها الباي مصطفى بوشلاغم سنة 1701 عاصمة للبايلك فاستقطبت إليها الفقهاء والعلماء وقادة الجهاد والمقاومة. انظر يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة، المرجع السابق**، ص 228.

4 – مسلم بن عبد القادر، **أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر**، تح رابح بونار، (ش.و.ن.ت) الجزائر، 1974، ص34.

5– كان "حسن باي" طباخا للانكشارية ثم صار بائعا للتبغ وكان ذا سياسة ودراية فقربه الباي "بوكابوس" منه ثم صاهره وهكذا فتحت أمامه المناصب السامية حتى تولى البيلكة سنة 1826، وكان قبل ذلك يحب الضعفاء والمساكين والعلماء ويقربهم، ثم تبدل وتغير مثلما ينقل المزاري بن عودة عن شيخه محمد بن يوسف الزياني، انظر: مسلم بن عبد القادر، **المرجع السابق**، ص34.

6 – Henri-Léonfey, **Histoire D'Oran Avant, Pendant Et Après La Domination Espagnole** .Adolphe Perrier éditeur, Paris. 1858. p275.

حكم 11 سنة، وكان من عائلة مرموقة من مازونة، ثم حكم بعده "سعد باي" لكن ثورات الأهالي كانت في ازدياد مطرد، ونمت الفوضى التي هزت عاصمة البايلك نفسها، واستمرت تقض مضجع أحد عشرة 11 بايا حكموا البايلك وتكررت حملات التأديب للثوار و المتمردين دون أن تحقق شيئا.

وحاول "شعبان باي" استرداد مدينة وهران لكنه استشهد تحت أسوارها سنة 1701، فخلفه "مصطفى بوشلاغم" الذي استغل قدراته العسكرية والإدارية الكبيرة، حتى تمكن من فتح وهران سنة 1707م، فسارع إلى تنظيم شؤونها ونقل عاصمة البايلك إليها[2]، وخلفه ابنه "يوسف" لكنه كان ضعيفا ولم يستطع الوفاء لإرث أبيه وأسلافه الأقوياء وسقطت من جديد بيد الاسبان سنة 1732..

وفي 1780 تولى حكم بايلك الغرب الباي "محمد بن عثمان" واستطاع جمع القوى المتشتتة نحو هدف واحد هو تحرير وهران مشاركا مع الفقهاء والمرابطين وكان ذلك سنة 1792.

وقال في شأنه مسلم بن عبد القادر :"وفي أيام دولة أبي عثمان محمد باي صاحب فتح وهران الذي تولى سنة 1780 وكان رجلا جسيما محبا للعلماء والصلحاء قريب الغضب سريع الرضا خافته الملوك في أماكنها وأطاعته الرعايا بأسرها ووفدت عليه وفودهم رحمه الله وعفا عنه"[3].

وكانت لسياسته الرشيدة وحكمه الصالح سمات عديدة، منها الحرص على العدل والعمل على إسعاد الرعية بما يفرضه عليها الشرع الحنيف دون مبالغة وإسراف[4]، وقد يمزج سياسته في كثير من الأحيان بوصية عماله ورجال دولته بالبر والصلاح والاستقامة، مع الالتزام بواجبات الدولة حتى تستمر في الوجود وتقوم بالأعباء[5].

وأثنى عليه الفقيه والمحقق مرتضى الزبيدي وقال فيه: "كان يكرم الأدباء والمدرسين والعلماء ومن بين هؤلاء أبو راس الناصري الذي شمله بعطفه وكرمه"[6].

وخلف "محمد الكبير" باي وهران ابنُه "عثمان باي" الذي كان مفتونا بالغناء حيث بعث إلى تونس ليظفر ببعض جواريها ولما علم الداي به غضب منه وعزله[7].

وفي 1821 تولى آخر بايات وهران "حسن بن موسى" الذي حكم البايلك من سنة 1821م إلى سنة 1830م، وقضى بعنف كبير على ثورة التيجانية[8] ولم يسلم جل المعارضين من سطوته وجبروته[9] بمن فيهم الشيخ

1- ما زال أعقاب "سايح باي" يسكنون إلى اليوم في مازونة.

2- **ibid** ,p*279*

3 – مسلم بن عبد القادر، **المصدر السابق**، ص62-63.

4 – ابن هطال، **المصدر السابق**، ص 81.

5 – ابن هطال، **المصدر السابق**، ص 81.

6 – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء المرجع السابق**، ص 85.

7 – **المصدر نفسه** . ص67.

8 – محمد شاطو، "السلطة العثمانية وعلاقتها بالطرق الصوفية"، في **مجلة المواقف**، جامعة معسكر، العدد 03، 2008 ، ص164.

9 - Pierre Boyer, **La politique religieuse des turcs,,, op.cit.,** p45

"محي الدين" أبو الأمير "عبد القادر"، حيث قام بسجنه ولولا شفاعة أحد أعيان المخزن لضرب عنقه، ثم عدل عن ذلك مكتفيا بوضعه تحت الإقامة الجبرية1. ووصفه المزاري بقوله: "كان عربيدا تجرأ على العلماء والأولياء والشرفاء والرعية، فبان منه الجور والظلم والتعدي وهتك المحارم وكثر منه الفساد والسفك لدماء العباد ولم ينظر في عاقبة أمره"[2]

ومما ارتكبه الباي حسن قتله للشيخ "بلقندوز" ببرودة دم دون مراعاة لمكانته ولرمزيته في المدينة[3]. وقال عنه الزياني :"واعلم أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم والمناكير وتواتر ذلك على الألسنة بغاية التواتر وسألت الناس أن يزيل بهم ما حل من ظلمهم"[4].

وبعد سقوط مدينة الجزائر اتجهت أنظار فرنسا للغرب والشرق لاستكمال بسط النفوذ فاحتل "دام ريمون" المرسى الكبير في 1830/12/13 ثم وجه فلوله نحو وهران وحاول الباي "حسن" التفاوض مع فرنسا لكنه أدرك عجزه عن المقاومة فسلم المدينة للفرنسيين في 1831/01/13، ثم هاجر محملا بثروات البايلك التي استطاع جمعها نحو أزمير التركية مصحوبا بأهله وظل بها حتى وفاته[5].

الخاتمة:

من خلال الدراسة يمكننا أن نرى جليا أن من اسباب انهيار الحكم التركي في الجزائر هو غياب حكم محلي راشد ومتطور يواكب التحولات الاقليمية الحاصلة على مستوى الممالك المغربية وعلى مستوى أوروبا.

ساهم تشتت السلطة في انهيار الحكم العثماني حيث كانت مقتسمة بين النخب الدينية والسياسية والقبلية وكان لكل طرف تصوره عن السلطة المستلهم من السعي للحفاظ على مكانته وامتيازاته.

ساهم ضعف حكام المركز وغياب مشروع الدولة في ضعف حكام الأطراف وتشتت الولاءات والجهود.

كانت عملية التولية للمناصب التنفيذية السامية لا يستند إلى المؤهلات الفكرية والعلمية والميدانية، بل غالبا ما يتم توزيع المناصب لمن يدفع أكثر ولمن تكون له علاقات مع الجهة المتنفذة سواء بشراء المناصب أو بالمصاهرات مع القبائل القوية.

انهيار إيالة الجزائر ووقوع الاحتلال كان نتيجة حتمية لغياب الاجتهاد والتجديد في الدين وفي فقه الحياة ورافق ذلك انتشار الجهل والأمية والبدع والخرافات ورفض الثقافات الجديدة.

---

1 – محمد بوشنافي، **موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني**، عمل فرقة بحث بعنوان معسكر المجتمع والتاريخ، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص19

2– المزاري بن عودة، **المرجع السابق**، ص 350.

3 – المزاري بن عودة، **المرجع السابق** ، ص362

4 – الزياني بن يوسف، **المرجع السابق**، ص 253.

5 – عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج04، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص 18.